الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أدرار

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

إسهامات الشعراء الجزائريين في المقاومة.

الشاعرمحمد العيد آل خليفة "نموذجاً"

بحث مقدم لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص الدراسات الجزائرية في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالب:

عوماري محمد

إشراف

د/ مشري الطاهر

لجنة المناقشة الموقرة متكونة من :-

01- الدكتور .لقصاصي عبد القادر رئيساً

02- الدكتور. مشري الطاهر مشرفاً ومقرراً

03- الدكتور.أخدير المغيلي مناقشـــــــاً

الموسم الجامعي:2013/2012

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

إلى السادة الأساتذة

المؤطرين طيلة مدة

التكوين للماستر والمشرفين على

البحوث والمناقشين للرسائل

الجامعية قي إطار مابعد التدرج

بجامعة أدرار

خطة البحث:

المقدمة :

المدخل:

المقاومة في الشعر تاريخياً:

- شعر المقاومة الملحون:

- شعر المقاومة الفصيح:

- دور شعر المقاومة في مسار الثورة.

الفصل الأول: الشاعر محمد العيد آل خليفة نموذجاً :

المبحث الأول: حياته وشعره:

المبحث الثاني مظاهر المقاومة في شعر محمد العيد :

الفصل الثاني:البنية الفنية في قصائد المقاومة لدى الشاعر:

المبحث الأول: طابع البيان وسمة الخيال في شعر المقاومة:

المبحث الثاني: موسيقى الشعر وإيقاعه في شعر المقاومة:

الخاتمة:

الفهارس:

مقدمـــــــــــة

المقدمة:

إن مقتضيات الشعرعموماً التعبيرعما يجول في خلجات النفس وما يختلج في الصدرفينطلق به اللسان على رأي كعب بن مالك ,وهوتصور لواقع يفيض به الوجدان طرباً وتغن و وازدحام لكل ألوان المشاعروالرؤى العينية والخيالية على السواء, والشعرأداة ووسيلة ترمي إلى غايات وأبعاد لايمكن بحال تجاهلها أو تغاضيها لما تتركه من أثرمولد وخالد يسري على وقائع ومشاهد تهز الكيان فتستجيب لذلك الجوارح باكية حزينة أو مشرقة ضاحكة متفاعلة مع المواقف والوضعيات التي تطالعنا تارة وتصادفنا في أخرى , وما تختزنه الذاكرة من مكنونات تثير في الإنسان تفاعلاً قيماً يحمل في ثناياه ما يؤرق الذات ويشعرها بالإضطراب والتوتر لدواع معينة تزعجها وتقلقها بين تقلبات الأحوال التي تعتريها ما جعلها أكثر استجابة لبعض المواقف بحسب النوازل والأقدار, وما أوعزني للتنقيب والبحث في الشعر الجزائري الذي أحاط ولازم المقاومة المظفرة منذ إرهاصاتها وقبل توهجها ميداناً و بلسان من لهج بها مما أعطاها دفعاً وشحنات قوية إرتعات لها فرائص العدو زلزلت كيانه وأربكت مخططاته,واحتفاءً بمضي نصف قرن على نيل الحرية والاستقلال ارتأيت الزمن وتحينت الوقت سيما وأنا من مواليد تزامن ذلك الحدث التاريخي الذي كان يأمله كل حر مخلص مدافع متطلع إلى اليوم المشهود بعد إتفاق الثوار على وقف إطلاق النارفي التاسع عشر من مارس سنة إثنان وستون بعد المئة التاسعة والألف.وما رسمته في مسارالبحث ومن خلال توجيهات أستاذي الفاضل الدكتورالطاهر مشري الذي أمدني وأفادني كثيراًفي مجال الدراسات المتعلقة بأدبنا الجزائري وما ينطوي عليه بوصفه أداة فاعلة في تحقيق المزيد من الإنتصارات الداخلية والخارجية كان الشاعرالجزائري أحد حلقات ذلك الصنيع وهو لايقل شأناً عن المقاومة بالسلاح لما للكلمة من تأثيرفعّال على العقول تخفق له القلوب فتستجيب شوقاً وحرارة طلباً للتضحية والشهادة وكسرللاستعباد

وأساليب القهروقلب صفحات الدموع ابتهاجاً بالنصر المبين على مابذله الإنسان

الجزائري وما دفعه من ضريبة لاتقدر بثمن على حد قول :الشاعرالمرقش الأكبر:

إنا لنرخص يوم الروع أنفسنا ولو نسام بها في الأمن أغلينا

والمتعارف عليه تاريخيا أن مقاومة الجزائري ليست وليدة عصرأودهرأومرحلة ,إنما جذورها أصيلة أصالة عود الشجرالذي لاتضمحل قوائمه وإن ذبلت أوتساقطت أوراقه بفعل عامل الزمن وما أتى عليه الدهربفعل إعتراء الأحوال وطبيعة الأهوال

والصروف والأحداث,وقد أفاضت المؤلفات التاريخية إفاضة في الحديث عن المقاومة الجزائرية وما كان لها من نعوت وإشادة لقلة نظيرها في تاريخنا الحديث والمعاصر جعل منها مثلاً يحتذى به في سائرالثورات التحررية في العالم.

الإطار العام للموضوع:

المقاومة من مجريات التحول في حياة البشرية ,إذ باتخاذ ركبها أداة للتغيير كانت دورة الفلك تعبر مسافات الزمن وقياسات زواياه وميحطاته لتحديد المعالم والنفط والإتجاهات ورسم المثلثات وتقدير موضع الأميال والمواقع بحسابات دقيقة تخضع للغة المنطق ولاتقبل الجدل العقيم الذي لايفضي إلى نتيجة محسومة لأن الحساب الذهني قائم على المجرد المسبوق بأمر محسوس دال على أثره مضئ بأسماته وخطوطه لاينصرف إلى مجهول الرقم في إحداثياته.ذلك ما تبنى عليه فرضيات علم الرياضيات,والذي تؤسس عليه المقاومة من خلال استقراء لحيثياتها فلا يعتمد إلا على قواعد محكمة محبوكة بسرابيل الضبطية في مسارها وما تخوضه عبر غمارها بين الكبوة والنصرة, وما اعتراني وأرقني في بعض الأحيان ما لمسته في كثير من المراجع والمصادر التاريخية التي كتبت عن المقاومة من منظورمعين دون الإلتفات إلى جوانب قيمة بالرغم أيضا من البحوث والدراسات التي حاولت الإشارة إلى الشعر الثوري التحرري سيما زمن المقاومة منذ رفع لواء الجهاد من قبل المقاومين الأوائل ,ولعل أبرز ما آليت إليه في هذاالبحث المتواضع هو الوقوف على ما لم يلق له بال ممن كان لهم حق كسب قصب السبق, والذي يحدوني في عملية النبش عن كل ما له صلة بالمقاومة من منظور فكري أو تاريخي والباعث على تعقب تلك الأحداث ما رأيته من اضطراب على مستويات الروايات التاريخية والتعصب لآثرة من بعض المؤرخين لمقاوم على آخرأوبفعل التصلب لرأي أوفكرة

توارثها وتناقلها الأباء عن الأجداد وهو ما حدا بالرؤى للتضارب والتراشق كالذي تحدثنا عنه كتب التاريخ بين مقاومة أحمد باي في الشرق ومقاومة الأمير عبد القادرفي الناحية الغربية من الوطن والتي امتدت حتى مناطق من الجنوب الجزائري

أهمية الموضوع:

باعتبار المقاومة صنيع الثواروالشعرصناعة الشعراء وفن كما يرى ذلك العلامةعبد الرحمن بن خلدون في المقدمة بقوله:{هذا الفن من فنون كلام العرب وهوالمسمى بالشعرعندهم في سائر اللغات,إلا أنّا الآن نتكلم في الشعر الذي للعرب)ولما يحتله شعرالمقاومة من مكانة في نفوس الثائرين ومن يملك إحساس الإنتماء وصحة

الإعتقاد وقوة الإرتباط بالوطن الأم كالطفل الذي يهفو ويشرئب بعنقه طلباً للظئربتعال وشموخ غير مبال لإدراكه ويقينه بحسن العاقبة والخاتمة بلا تردد أو لجلجة لحسمه المواقف وتقديمه لمواضع الخطو قبل الرجل لأن المؤمن يعلم أن الجهاد من أفضل الأعمال استناداً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم:{رأس الأمرالإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد)

وموضوع المقاومة وسريانها لايعرف التوقف والإنقطاع لكونه مسعى كل غيورعلى دينه ووطنه وأمته ومقدساته فهو لايتوانى لحظة عن الدفاع والصمود في وجه كل التيارات التي تحاول طمس هويته ومعالم أصالته وهي سمة كل تواق إلى ما يسعده في دنياه وآخرته والجمع بين الحياتين لايتحقق إلا لمن امتطى ركوب المخاطربلوغاً إلى المجد الجديد حفاظاً على التليد وإن توالت المآسي والنكبات.

ولعل أهم حافز للخوض في هذا البحث في لون من ألوان الشعر يمكن أن نعزيه إلى ما لصوت الشاعر من بصمة في التأثيرسلباً وإيجاباً بفعل ذلك التفاعل بين الموضوع والذات.

ولأن المقاومة لها منعطفاتها وثقافتها وأدواتها التعبيرية وطريقة صوغها.تماثلاً والجنس الأدبي المصورلها.

المقدمة لابن خلدون:1097

من خلال التجانس بينهما والمتعارف عليه لدى النقاد بالمعادل الموضوعي وعند المشتغلين بالشعر وبحقوله وميادينه ,فضلاً عن إحياء الضمائر وشحذ الهمم وإيقاظ

الرعديد ليصبح صاحب رباطة جأش باذل النفس والنفيس جاد في سبيله وغايته .

ومن الأسباب الداعية إلى تتبع حركية المقاومة ما خفي من جوانبها بغية استظهارها

والإشارة إلى كل عامل ساهم في إعطائها ذلك النفس دون إهمال لأثر من تلك المؤثرات الإيجابية بما تمليه ضرورة تحري الدقة وتوخي الصدق ولما تقتضيه الأمانة العلمية في إطار البحث العلمي النزيه وبحياد دونما ترجيح لرأي أو دحض لآخر إلا وفق ما تستوجبه الواقعية تبعاً للشواهد الحية أو المبنية على القرائن الثابتة بلا مساهمة من عاطفة أوانفعال مفرط يطغى عليه التحامل أو المحاباة كما لوأنه عدو لدود أو صديق حميم وهو دأب كل من يتعقب الحقائق بترقب صادق.لايتوانى عن قول الحق وإقامة الإنصاف والعدل الصرف في بث الوقائع بلا تحيزأو شبهة

في سند الرواية على ما تتلقفه أقلام الرواة من المؤرخين والأدباء على السواء.

ولم يكن لي الإنفراد بمنهج واحد لعدة دواعي من أهمها:

*أن البحث عن مسار المقاومة ودواعيها يحتاج إلى الاستفادة من المصادر التاريخية مما يضطر الباحث إلى حشد الروايات التاريخية وغربلتها ومعالجتها عن طريق القرائن لتثبيت أونفي حدث من الأحداث بموضوعية وهنا لزاماً اللجوء إلى استعمال المنهج التاريخي القائم على التمحيص والاستقرائي الوصفي قصد الولوج إلى صلب الموضوع يفرض نفسه في عملية استقصاء الأفكار والرؤى المتباينة ,مما يستوجب تفسير الظواهر, وما شكّل نقطة التوافق والاختلاف ,مع دعم ما جدّ منها, والوقوف على ما توصل إليه من خاض في دراسة للشاعر سواء منها التحليلية التطبيقية لنصوصه ,أو لما كان من غير البحوث الأكاديمية عنيت بجانب من شعره لغوياً وأدبياً, مساهمة ودعماً وتوثيقاً لنصوص بغية ذيوع ما كان مشكوكاً. أو محل عناية واهتمام بظاهرة لرفع اللثام عنها بالتقابل أو المقاربة النصية.

مدخـــــــــــــل

المدخل:

أولا : المقاومة في الشعر تاريخياً:

إذا كانت المقاومة مظهراً من مظاهر الوعي والحس الخلاق الذي ينبعث بفعل التحول والتمرد على كل أشكال الخنوع وصفات الرضوخ والانحناء وطأطأة الرؤوس فإن التاريخ يثبت بما ليس فيه مجال للشك واليقين أن معظم الشعوب التي اضطهدت وعاشت ألوان الممارسات الوحشية بكل ما تحمل الكلمة من معنى وما تنطوي عليه من ظلم وقهر, والذي شمل جوانب الحياة كلها بلا رأفة أورحمة لماكان سائداً من استبداد واستعباد وتسلط وحرمان وانعدام لأدنى شروط الحياة الإنسانية. وإذا حاولنا أن نقوم بعملية مسح تاريخي للمقاومة في الشعر فمما لامراء فيه سنعثر على الكثير الذي لا يعد حصره من المقاومات التاريخية , حيث أن الشاعر لسان حال الأمة والشعب والمجتمع يعبر عن هموم الأفراد والجماعات باعتباره عنصرا يمثل الضمير الجمعي الكاشف عن الأوضاع والمدافع بالمقال وهو ما لمسناه من خلال استقرائنا لمسار أمم وشعوب عانت الويلات إثر تكالب دول استعمارية عليها طيلة عقود من الزمن فظل الشعراء في غمرة تلك الأحداث ينافحون بقومياتهم وأبطالهم يفاخرون ويناهضون بكل ما يتمتعون به من ملكات وقدرات تدفع عنهم الحيف وألوان التعذيب والتنكيل التي هي صفة العدو الغاشم حيثما حل واستوطن ولاأدل على ذلك من المشهد الفلسطيني اليوم وما يتجرعه الشعب الأعزل هناك بالرغم من الأصوات التي تصرخ وتنادي وتستنجد الضمائر في العالم بأقلام كتابها ونظم شعرائها ومن المتضامنين مع القضية إلا أنه لا حياة لمن تنادي.

وفكرة المقاومة تقوم على الصراع بين الكون والإنسان إثباتاً للذات والوجود من منطلق فلسفي وهو الذي بنى عليه بعض الأدباء نسجهم القصصي والشعري سيما أصحاب الروائع في الأدب العالمي وما تعلق بالمآسي التي صورت ذلك الجانب في الأساطير الإغريقية القديمة , فضلاً عن تجسيد البعد الإنساني ومنها أسطورة سفبزيف الذي يمثل البطل الذي حكمت عليه الآلهة أن يوقع الصخرة إلى قمة جبل عال ما إن يصل إليها حتى تتدحرج الصخرة لتهوي إلى السفح فيرفعهامن جديد لتسقط من جديد وهكذا إلى ما لانهاية.لقد اتخد ألبيركامو من هذه الأسطورة العظيمة محوراً فكرياً لنظريته في عبث الوجود .

وحقيقة المقاومة في الشعر تستوقفنا فيها محطات تاريخية هامة لما تناقلته كتب التاريخ من روايات تحدثنا عن مجريات في بيئات متعددة ,ورسمها للبطولات المخلدة لحياة أبطال وشعوب على ما أحدثوه في مقاوماتهم التي أثارها شعراء.

ولعل شعر المقاومة هو أكثر الأنواع الأدبية قدرة في امتصاص رحيق الكارثة ومقاومتها في حينها لما أبان عنه شعر المقاومة الفرنسية إبان الحرب العالمية الثانية بما احتلته من مكانة خاصة في مقدمة القوائم التي تسجل المعارك الوطنية ضد النازي, ولما صورته تلك المقاومة التي يعتبرها بعضهم أنها من أروع صور الكفاح الإنساني وذلك بسبب التفاف حولها ما يقرب من ربع مليون نسمة من أبناء الشعب الفرنسي غير العسكريين كما ضمت مختلف الاتجاهات من أقصى اليمين الكاثوليكي إلى أقصى اليسار الشيوعي , وشارك المثقفون فيها مشاركة فعلية بدمائهم وبشعرهم الذي يمثل الفن الأقدر على التأثير في الناس, إذ استطاعت قصائدهم أن تصل إلى آذان الناس وأفئدتهم ثم انتقلت من من فم إلى فم تحمل حرارة الانفعال المتوهج بالمعركة .ولم يكن الاستظهار وحده هو أداة نقل الشعر, بل كان هناك من ينسج القصائد على سجاجيد الأوبيسون الفرنسي. ومن كان يمثل بحق شعر المقاومة أنداك هو الشاعر أراجون إذ يقول في قصيدة له بعنون ورود عيد الميلاد محيياً رواد الاستشهاد ضد النازي:

نويل ,نويل,هذاالشروق الخابي

أعاد إليكم أيها الرجال ذوو الإيمان العفيف

الحب الذي يموت المرء في سبيله بصدر رحب

والمستقبل الذي يعيد الحياة إلى موته

وإن كانت تلك القصائد في نسجها مبتذلة إلا أن معانيها رسّخت فكرة الارتباط بالوطن وجعله فوق كل الاعتبارات مما ذابت فيه كل الاختلافات المذهبية والتيارات السياسية بكل أطيافها وحملها على التشبث بالوطن دون غيره في تلك المرحلة.

أدب المقاومة:ص:317-318 د/ غالي شكري.

وحينما نسترجع المقاومة الفيتنامية أنه من الطبيعي يكون فيها مشهد الحرب هو الخط الأساسي المصور للبطولة , فالشاعر الفيتنامي لايحس بالهتاف حين يصرخ ساني هاي في أغنية المقاتلين:

البنادق والقنابل ليست طريقنا إلى الحياة

فلم أكن أبداً أصدقاء للحرب
سأرمي بالرصاص ,ثم ..الذود

كل هذا بسيط , منطقي

ولكن في العاصفة

سنكون دوماً معك

يا شعبي

ذلك لأننا أحببناك.

والذي يطغى على تلك القصائد هو المزج بين روح البطولة والرومانسية البادية في تعلق الشاعر بوطنه وشعبه بالرغم من المآسي التي كانت سبب تشكيل مثل هذا الإرتباط وتحديث مصدرالإنتماء بما يجمع الشاعر وغيره من الناس.

ولأن المقاوم في شعره يعتمد على تلوين صوره من خلال امتزاج الحلم بالواقع فيصوغ تجربة النصر بومضة من الأمل كأنه يقين ولو من باب المساورة وإن ظلت الصورة قاتمة لشدة هول المآسي إلا أن ضوء القمر يهتدى به ولو كان شاحبا:

أدب المقاومة ص:344,343 .

على ما يراه ساني هاي:

في الصباح ذهبت إلى الحقل

رأيت ظلال شجرة كنيا العظيمة

تمتد وتنحني نحوي

وتغطيني حتى الرسغ

تمتد وتنحني نحوي

وتغطيني حتى الرسغ

ومع المسيرة التاريخية للمقاومة في الأدب نرصد ما شهدته المقاومة الإفريقية على لسان من أفصحوا عنها في منظوماتهم الشعرية , وذلك بإبراز خصوصيات الفن

المنقول بواسطته ما عرفته الساحة الإفريقية عبر أرجائها من أحداث وهو يختلف عن شعر المقاومة في أوربا وآسيا لأن تاريخ القارة السوداء مع الأشكال الاستعمارية لها وجهان استيطاني غازي وآخر حضاري , وقد كان كونتييه أحد الشعراء الذين انتجوا شعراً ومن ذلك قصيدته بعنوان الشهداء والتي نشرت بالعدد الأول من مجلة الأدب الإفريقي الأسيوي القائل فيها:

الدم المحرق مازال يسهل

على الرمال السوداء في الطرقات

الدم يسهل ويخصب الأرض السوداء

إن الموتى المغمورين يلعبون ويقبلون

في تضاعيف ذكريات أوراق الشجر, والسماء

تكاد هذه القصيدة تجمع أهم الخصائص القومية للشعر الإفريقي بما استوحاه الشاعر من بيئته السمات المميزة للقارة سيما مظاهرها الطبيعية , وما حباه الله بها

أدب المقاومة:ص:348

من صفات , فضلاً عن مواقف التضحيات للإنسان الإفريقي الذي كابد الأمرين أي بين قساوة الطبيعة وما توالى عليه من نكبات التسلط وسلب منه حريته التي هي إثبات لوجوده في الحياة ودليل بقائه.

ومروراً بالمقاومات الإفريقية وما أرّخَ لها كانت المقاومة المصرية بظهور زعماء كسعد زغلول وثورة أحمد عرابي 1919,وما خلّده الشعراء في قصائدهم حول العدوان الثلاثي على مصر والمواقف البطولية التي تجسد مبادئ الدفاع عن الحرية والكرامة حين التحم العرب أنذاك واتخدوا قراراً موحداً ضد الدول التي أرادت استهداف وطن عربي يشكل القاعدة الأولى للعرب وهو مصر سنة 1956 , وسمي ما نظمه شعراء العرب على إمتتداد الوطن العربي بشعر الثورة الذي اختلط فيه اللسان العامي بالفصيح بتلقائية المتحمس الثائر على القيود بماقيها القالب الشعري الموروث عن الأسلاف.

وخطاب الشعراء ينزع إلى الوجدان ليحي الجهاد في الأمة بشعر شعبي تقليدي حين يطالعنا الشاعر المصري بيرم التونسي مخاطباً الشعب المصري بلهجهته قائلاً :

الليل ما هوش قصير إلا على اللي ينامه
والشخص ما دام فقير ما حد يسمع كلا مه

لابد من يوم معلوم ترتد فيه المظالم
أبيض على كل مظلوم أسود على كل ظالم

ومقاطع الشعر العامي المصري تكاد تجمع بين اللهجة البسيطة في مظهرها والعمق الذي يرمي إليه الشاعر من خلال تحلية ذلك بما هو أقرب للموال في بث روح المشاعر التي تهز جوارح المرء فيندفع في زخم الحياة وأجوائها بتلقائية متناهية وبإيعاز من ذلك التلقي الذي حظيت به الجوارح فحرّكتها بفعل التوافق والإنسجام بين أداء القول والفعل المنشود.

أدب المقاومة :ص:383- 384

والرمزية في الشعر ليست حكرا على الشعر الفصيح بل هي مظهر من مظاهر الشعر الشعبي لدى العرب, فكان لاتخاذهم دلالات رمزية قوة وشدة في عملية التبليغ والإفصاح عن الرسائل التي كانوا يوجهونها لشعوب أمتهم وللعالم أجمع, ومن تلك الرموز التي وظفوها ما استعان به صلاح جاهين من رموز طبيعية تجسد حقائق واقعية برؤية خيالية حين أوجز الشاعر تاريخاً دامياً بلا قناع للاستعمار في الليل الذي يعرف بسواده بخلاف النهار الذي يوسم بإشراقه في قوله:

الليل يهبط من جديد

بالرعب والظلمات والفوضى وسلطان الذئاب

والخراب....

وتسيل من هذا الظلام

جميع أشباح الظلام

بكل أهوال الظلام

ولعل المقاومة الفلسطينية من المقاومات التي مازالت قائمة منذ اغتصاب الأرض المقدسة سنة 1948 من قبل الصهاينة المحتلين لأرض الأنبياء ومهد الأديان فاهتز الشعراء لذلك بلغة خطابية لها شذى القومية التي لطالما انبعث عطرها في تعبير الملتزمين بالقضايا الحساسة والراهنة منذ ترويضهم للقوافي ,فالوضع الدامي المتكرر لتلك المشاهد يومياً على غرار مذبحة صبرا وشتيلا بتاريخ 16 أبريل من عام 1982 والتي استمرت لمدة ثلاثة أيام وخلفت ضحايا في موقع المذبحة تمّ إحصاء 460 جثة, والذي سقط تباعاً مثخناً بالجراح والإعاقات والتشويه الجسدي وما تركته من أثر نفسي على الأطفال والنساء والشيوخ.

وكل الذي يدور حوله الشعر الفلسطيني الدال على المقاومة لا يستهدف إلا تحرير الأرض المغتصبة من أدناس الإسرائيليين فرحلة الشعراء ممن حملوا على عاتقهم لواء الذود والدفع بالمقاومة إلى الأمام لم يكن مجرد تعبير عن الانتماء بقدر ما يرمي إلى ما هو أبعد من رقعة يعيش عليها أناس لأن المساحة التي احتلتها القضية الفلسطينية أوسع من ذلك لما وجدته المقاومة من مباركة ومشاركة وجدانية وفعلية

لما تكتسيه من بعد تاريخي وديني وحضاري لكل ناطق بالشهادتين أو لمن يعتنقون المسيحية وحتى لمن يمتلكون حساً إنسانياً فهم لايأبون الضيم والتسلط وكل أشكال الهيمنة والمد الاستعماري في العصر الحديث.

والشاعر محمود درويش بقصائده هو خير من يمثل تيار الوقوف وراء المقاومة بما وقعته قريحته بصدق الكلمة الموحية بكل ألوان ما يتوجس النفس على اختلاف مواقعها ومستوياتها المتباينة والمتأرجحة بين الثائرة الوغرة الصدر والمشدودة إلى ماضيها السحيق التواقة إلى الحياة البسيطة على ما فيها من شعور بالانتماء والتمسك بالموروث المنبئ عن الأصالة.

ومن تمسكوا ولم يعرف شعرهم تحولاً في الكلمة والخطاب أيضاً سميح القاسم وتوفيق زياد ونزار قباني بوسمته الرومانسية ,وحين نتأمل في شعر كل واحد من هؤلاء الشعراء لا نرى ذلك الخلاف في الجوهر فيما بينهم لما يحمله كب واحد من همّ لثقل أعباء القضية التي لا تكاد تفارقه فهي الشغل الشاغل لكل إنسان سليل الأجداد والأرض ذاك ما يؤكده محمود درويش بقوله:

يا وجه جدي .يا نبيا ما ابتسم

من أي قبر جئتني

ولبست قمباز اً بلون دم عتيق فوق صخرة

وعباءة في لون صفرة

ويا ساداتي حولتم بلادنا مقابر

زرعتم الرصاص في رموسنا ونظمتم المجازر

يا ساداتي لا شيء هكذا يمر

دونما حساب

كل ما صنعتم لشعبنا مسجل على الدفاتر

الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر: 338

فتذكير الشاعر هنا بالأجداد لايوحي إلا بالماضي وإلى ما آلت إليه الأرض فكأنه مجرد مقابر بعد عملية السلب والقهر والقتل لأبناء الشعب الفلسطيني , وكما هو معلوم فإن الصورة الرمزية واقعية بحسب أصلها , ولكنها غير واقعية في علاقتها

وتشكلها الفني , وهي تركيبة عقلية تنتمي قي جوهرها إلى عالم الفكرة أكثر من انتمائها عالم المادة , وعليه يكون عالم الفكرة مطابقاً لعالم الواقع.

وتوفيق زياد بجمعه للماضي الموروث واقتحامه لعالم التجديد نجده موزعاً بين نغمة الرثاء المكتوم والتطلع للأمل المحتوم في ومضات لاتقر على وضع من خلال قوله:

إن من يسلب حقاً بالقتال

كبف يحمي حقه يوماً

إذا الميزان مال

وما لجأ إليه محمد القيسي من امتزاج على مستوى تركيبة النص الشعري دمج الحس بما يعتصر القلب الجريح وما يلفه من كبرياء وشرعية القضية المنافح عنها رغم محاولات الطمس والخنق من قبل العدو الصهيوني ومن على شاكلته, إذ يقول:

يا قلبي

يكفي ما ألقينا خلف البوابة من أزهار

وما عدنا تملك ثمن الأزهار

ونعود

قلقاً يا قلب أراك

فالأحزان هنا كأنها نسيج

تندى جنبي بأحزان هوالك

الوحدة المتآلفة كالتي تلف ما يلبس ويفترش ويغطى به فهي صورة رامزة بلغتها الشجية المؤثرة تنقل ما يثير الوجدان شعوراً نامياً لشدة الألم وتوالي النوائب والمصائب على من لم يقترف ذنباً أو يرتكب جرماً ,وما ذاك إلا نبع التجربة المنقولة بصدق في التصوير دون تهويل أو تهوين لما تجسد فيها من حقائق ملتصقة بواقع مر.

ثانيا: شعر المقاومة الملحون:

لقد ساهم الشعر الشعبي أو الملحون في المقاومات) والثورة التحريرية لقربه منها بلهجة مستساغة منذ بداية الاحتلال سنة 1830كما كان الموثق لكثير من الأحداث التاريخية التي شهدتها مناطق المقاومة إذ كان الشاعر الشعبي متابعاً ومتوجساً لكل طارئ لتقاسمه الأفراح والأتراح فهبته لنصرة القضايا الوطنية والإنسانية لاتقل عن غيره فهو الذي يشارك بوجدانه وليبخل بماله, كما يبذل النفس والنفيس من أجل الوطن لأن ضريبة التحرر غالية الثمن ,وممن صوروا سقوط مدينة الجزائر سنة 1846 الشاعر عبد القادر الوهراني قائلاً:

الأيام يا إخواني تبدل ساعاتها والدهر ينقلب وتولى في الحين

بعد كان سنجاق البهجة ووجافها الأجناس تخافها في البر وبحرين

أمنين راد ربي ووفى ميجالها واعطاوهاأهل الله الصالحين

الفرا نسيس حرك لبها وخداها لاهي مبات مركب لاهي ميتين

بسفاينة بفرص البحر قبالها كي جا من البحر بجنود قويين

غاب الحساب وأدرك تلف حسابها الروم جلو للبهجة مشتدين

راني على الجزايرياناس حزين

فالقارئ للقصيدة لا يسترعي اهتمامه إلا حس الغيرة الوطنية المفعمة بروح المقاومة عن الأرض مهيباً الوهراني بشجاعة الأهالي ورجولتهم ,إلى أن يستنهض الهمم والعزائم داعياً إلى طرح اليأس والقنوط جانباً بقوله:

اهنا الناس تظهر وتبان أخبارها موت الجهاد خير من اللي حيين

حور الجنان راها تزغرت بأصواتها أبواب النعيم للأمة مفتوحين

الموت لازمتنا وحنايا زادها والصبر لاتكونو شي خيافنين

ومن القصائد التي عنيت بتسجيل أحداث الثامن ماي 1945ما نظمه الشاعر أحمد الكرومي من بشار مستنكرا شنائع المستعمر الوحشية بقوله:

في الخمسة والأربعين بدوا القتال معركة سطيف راها عبارة

قتلت لنا شحال شلة من الرجال ما عفت ما عفات هذي النكارة

والدمعة سايلة على خدي تنهال في خراطة وقالمة دارت حارة

تواصلاً مع المقاومة والثورة فإ الشاعر بن علي بلال العبادلي يقول في مقطع شعري له مؤرخاً لانطلاق الثورة النوفمبرية :

سبع سنين ونصف واحنا في الغبنات ذايق فيها الشعب الحلوة والمرة

عام على عام باليالي وبهارات وناس مشردين وقف وصبرا

عمرت لحباس باهرة ناس توفات تحت التعذيب مات ما يفشي هدرة

الاخر حكموا عليه نعدم لاشفقات عديان الله قلبهم قاسح حجرة

والذي يلاحظ على القصائد الشعبية التي واكبت الثورة من خلال تعقبها لصغائرها وكبائرها من منظور الواقف إلى جانبها وغير المكترث لما يلاقيها من العدو,لكونه يقوم بدور المجاهد الواقف وراء ما يعانيه شعبه من اعتساف.

ويبدو أن محمد بن قيطون الأكثر الشعراء الذين أشادوا بأبطال المقاومة سيما ثورة البوازيد ولم يخف آلامه مما تجرعه قومه من تشريد وتقتيل بقوله:

لحباب يا لحباب نحمي نحمي وين قالوا غاب

فرقوه على لشعاب ما أشين خبراللي جاعلي وذني

كي اطاح محمد والسرسور عليه متلمد

مجروح ويكمد متأثر بجراح دخلابي

ماجاش بن عياش راعي لشهب يابني رياش

زدمو وما ولاش رجع السرسور ظهراني

ولا ينقطع سيل الشعرالملحون عند مرحلة أو مسار أو موقف معين لأن الشعراء كانوا جنباً إلى جنب كأنهم ظل تنعكس فيه الأحداث المصورة عن قرب لما غطوه من مقاومات حيثما أقيمت ,إذ لم يكن ذلك فقط أصداء لها بل احتواء وتجسيم حتى لزفرات النفوس وما يحترق الفؤاد, بالرغم أن الشاعر الشعبي ليست له تلك الملكة والقدرة التعبيرية التي يمتلكها الشاعر الرسمي فهو يملك قدرة ذهنية تمكنية من تطويع الألفاظ العربية ونقلها بأسلوب عامي متعارف عليه في الحيز أو المنطقة التي يقطنها حسب كل إقليم أوناحية من نواحي البلاد الشاسعة ,والمتنوعة الثقافات وقد أشار الدكتور التلي بن الشيخ إلى مثل ذلك التصرف لاستقامة الكلام المنظوم مراعاة للإيقاع وتوازناً للأشعار وتحاشياً لثقل الكلام مجاراة للكلام الفصيح ومن ذلك حذف حرف الذال من الاسم الموصول "الذي ,والذين "ثم تشديد حرف اللام , كقول الشاعر:

والعالم الأصحاب ياغني عمم "واللي" حاضر ين كل آخر باسماه

وما هذ الضرب من التشكيل اللفظي للشعراء الشعبيين إلا نموذجا على غرار الأمثلة الأخرى التي تسير في الاتجاه نفسه لما يسعى إليه الشاعر من غايات في قصائده وما يعلّق عليه وينشده من أهداف.

ونظرة الشاعر الشعبي للاستعمار الغازي ليست مجرد احتلال للبلاد والاستيلاء على ثرواتها ونهب خيراتها واضطهاد أهلها ,بل يرى في ذلك غزوا وتعدياً وتطاولاً على الإسلام انتهاكاً للعقيدة التي هي الرباط الحقيقي بين العبد وخالقه.

والتسلسل الزمني يقضي بأن مسألة التخليد لكثير من الأحداث مرد مصادرها ترجع إلى المقطوعات والقصائد الشعرية التي يشع فيها روح النضال والمقاومة لأولئك الأبطال الذين صنعوا مجداً خلدوا به تاريخاً تحتفي به الأجيال ويتغنى بما أقاموه من أعمال ومفاخر ترددها وتكون اقتفاء للآثارورمزاً لأسمى التضحيات ومنه المدون وغير المكتوب.

وأغلب الشعبيين من الشعراء أطلقوا العنان لألسنتهم وجوارحهم للتعبير عن لحظة الاحتلال ودخول المستدمرأرض البلاد كالقصيدة المطولة لعبد القادر الوهراني الذي سبق الإشارة إلى أبيات منها , وعلى ما أباح به أيضاً:

الكلب غير رقب للمرضى شافها شاف المدافع لوجهه منصر بين

منة جهة البحر قاع الناس تخافها برج الفنار منه كي مضعورين

والمقاومة لا نوقفها على كفاح الميدان لأن مجال المقاومة فسيح وله مراكب شتى لمن أراد امتطائها لما تعنيه اللفظة من دلالة في اللغة وبعد لايدرك كنهه إلا من خبر حقيقة رجل المقاومة ,وتصوير الشاعر الشعبي لكل ما عالجه في قصائده لا يخلو من النقل للمشاعر بصدق وإحساس ناطق بواقعه الأليم المحزن ,أو بما يطرب نفسه وقت نشوة تحقيق انتصارات على العدو في أرض المعركة أو أثناء أحداث متقطعة.

والذي لايخفى على من سبر أغوارالمقاومة أن الشاعر الشعبي أدى أدواراً هامة في الثورة الجزائرية عبر مختلف 'مراحلها فنبرته مؤثرة لما يستند إليه في قوله ويقرنه بفعله فهو يضم ثالوثاً "النضال ,ورفيق السلاح, وحامل للرسالة " فمطلقاته صلبة والمتمثلة في عناصر متميزة لا ينفك عنها وهي "الدين الإسلامي الحنيف ,والحس القومي بالانتماء إلى العروبة, وانصهاره في الجماعة التي ينحدر منها ولايمكن بحال الانفصال عنها , وهو بذلك ليس بالشاعر المصطنع أوالمعبر بفتور كما كان الأمر لدى الشعراء في زمن الأمراء والملوك بسبب دعوات تكسبية أو تقربية ,لأن السمة الغالبة على الشعر الشعبي الطبع ,إذ لا تكلف فيه ولا مغالاة لتناوله الوقائع والمشاهد كما لوانها أشياء نتلمسها ووقائع نتعايش معها في زمنها مجسدة في نقله لتلك الصور بأمانة دونما مبالغة أو تلوين بتلبيس أو تغطية لما كان من مجريات

لأحداث وفقاً لأهواء أو عواطف لاتعبر إلا عن الذات,ولذا فكان المؤرخ مرجعه في بحثه التاريخي هو الشاعر الشعبي في ظل وضع تفاقمت فيه الأوضاع وتردت فيه الأحوال إجتماعيا وسياسياً واقتصادياً فكان انعكاسها سلبياً على أبناء الشعب الذي عانى الجهل والأمية البالغة الأثر ومن ثمّ كان الشاعر الشعبي مغطياً لذلك الفراغ. فعوض الوسائل المفقودة في مجال الإعلام ,وأدواره لم تنحصر فقط في التفاعل مع المواقف ,بل قام بجهود جبارة في عملية التبليغ وشحذ الهمم ,كما أنه لم ليتباكى على ما ألم بالشعب الجزائري وما عاشعه من ضيق وشظف العيش ,إنما تجول وعرّف بالقضية ,ودعا إلى حمل السلاح ومقاومة العدو بكل الوسائل المتاح وغير المتاحة ,وإحساسه الثائرالمنبعث من النخوة المتوارثة عن أسلافه هي الدافع إلى تحريك النفوس والخروج من الكبوة والجمود,

وكل ما حجب على الشعب الجزائري خلال الفترة الاحتلالية فكان الراصد له الشاعر الشعبي بألفاظه المجلجلة التي لها وقعها على النفوس الثائرة الرافضة للعبودية والسيطرة والظلم .

ورؤية الشاعر الشعبي فيما يتصل بالاحتلال يعود إلى أن المسلمين أعرضوا عن دينهم مما سلّط عليهم عدوهم ,استناداً للنص القرآني في سورة المائدة لقوله عزوجل:[ياأيها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم] الآية:54

ويؤكد المولى سبحانه وتعالى مسألة النيل من المؤمن أمراً مستبعداً في سورة النساء لقوله:[الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً] النساء الآبة: 140.

فإيمان الشاعر بربه يدل على رسوخ العقيدة لتشبعه بروح الإسلام التي تلقّاها أباً عن جد منذ صغره وتظل تتقوى بفعل مخالطة الأشياء يوما بعد يوم.

واهتمام الشعراء الشعبيين يحيط بالعالم وما يدور فيه مصوراً ومجسداً لدقائق خفية على الناس سيما الذي كان يشغل بال الطبقات الشعبية من دعوة إلى توحيد الصفوف والجهود بالنسبة للحركة الوطنية, فقد تعامل الشاعر الشعبي بلباقة مع ذلك لكسب التأييد والدعم لكل ما يصلح الاختلاف وإقامة للإتلاف بين الأطراف المتنازعة لجمع الناس على كلمة واحدة ورسم الخطط وتحديد الهدف, وما كان من مطالب خاصة منها طمس الهوية والشخصية, إذ يقول الشاعر عثمان بوقطاية:

لغتنا فنات　　حتى جوامعنا تفرمات

ما بقات حياة　　الذكريات كثرت عليّ

فرنسا المقهورة　　بأعمالها الشينة مشهورة

كي ادورالدورة　　تعمل فينا ربع مزية

فإظهار الشكوى بالنسية للشعراء ظاهرة اعتاد عليها كل من اصطدم بتعاسة الحياة , ومن ثمّ فإن المقوال من الشعراء يبدي أحياناً بالتهكم والاستخفاف من العدو حتى وهو في أسوأ اللحظات ,كما ساق الشاعر في أبياته تلك الخاصية.

الجزائر في الفترة مابين 1516- 1830كما يري جوليان بأنها لم تكن إلا بالاسم 'إذظهرت إلى الوجود دولة جزائرية تقوم على الوحدة الجغرافية والسياسية

والإقتصادية للبلاد بالإضافة إلى الوحدة الفكرية والروحية التي قامت منذ الفتح الإسلامي,كما كانت هذه الدولة مؤيدة من طرف أغلب سكان الجزائر ومعززة بجيش بريّ وأسطول بحري وذات علم وبرلمان ونقد وعاصمة, وفي نفس الوقت كان للدولة الجزائرية تقاليدها العرفية والديبلوماسية حسب القانون الدولي المعمول به أنذاك.

وبعد حادثة المروجة الشهيرة والمفتعلة من قبل القنصل الفرنسي ديفال من أجل احتلال الجزائر مدركاً الداي الفخ الذي نصب متسائلاً :[ماذا عملت له؟ لقد لمسته ريشة فقط].وعندها تأكد الجميع من الاستفزاز المقصود , ومطالبة الداي بالإعتذار وحين وصل الكومندان كولي إلى الجزائر في الحادي عشر من جوان موجها بعد ذلك بأربعة أيام إنذاراً,عن طريق قنصل سردانيا طالباً فيه :

* أن يتوجه الداي إلى الباخرة الفرنسية , ويقدم اعتذاراته إلى القنصل العام. * أن يرفع العلم الفرنسي فوق حصون مدينة الجزائر,ثم توجه له التحية بمئة طلقة مدفعية جزائرية .

وإذالم يستجاب لهذه المطالب في ظرف أربع وعشرين ساعة ,تبدأ الحرب ضد الجزائر,ونظراً لاستحالة الاستجابة لتلك المطالب ,أعلنت فرنسا الحرب في 16 حوان 1827,وفرضت فرنسا الحصار على الشواطئ الجزائرية ,وهذا الأمر كان سهلاً عليها بسبب تغييب معظم وحدات الأسطول الجزائري في اليونان. وبع فترة وجيزة وقعت الجزائر فريسة الاحتلال سنة 1830 واحتلال الجهة الغربية للعاصمة وتحديداً سيدي فرج المنطقة الساحلية المتميزة بمناخها.

,ما رعيته في هذا البحث الاستفادة من الكتب والمؤلفات التاريخية التي ركزت على المقاومة,خاصة منها المتابعة لسيرورة رد الفعل بعد احتلال الجزائر والاستراتيجية التي تبناها الجزائريون في مضارعة المستعمر, والذي أوعزني لذلك ما وقع في يدي من مصادر ومراجع مهمة أحاطت بالحدث التاريخي, منذ الإرهاصات الأولى للاحتلال ,وما أردفها من مقاومات شعبية وإلى ما رافقها من ثورات وانعكاسات

دولية على وقع الغزو الاستعماري الممتد إلى ما يزيد عن قرن,ولذا لم أجد بداً في عرض أهم المقاومات التاريخية لما يوجبه عليّ الضمير وإفادة لمن أراد الإطلاع

من هذا الجيل على تاريخ البلد وغيره ممن لهم ذلك الاهتمام والعناية بالتأريخ للأحداث العظيمة.ومنها المقاومة الجزائرية وموقعها بين كل المقاومات والثورات التي أقيمت وما تزال تقام.

-

أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر .د/أبو القاسم سعدالله .ص:64
تاريخ الجزائر العام ج 03.لمبارك الميلي: 273-274

والجدول الآتي يشتمل على أهم المقاومات ومن تزعمها والانتصارات المحرزة.

المقاومة تاريخها ومكانها	زعماؤها	الانتصارات المحرزة
معركة البشيرة 1830قرب تلاغمة	محمد بلحاج	جمع قبائل بن أهل بن علي
معركة الحزيمة1831	فرحات بن سعيد	إلحاق هزيمة بشيخ العرب
معركة مراح الجازية 1831	فرحات بن سعيد	تكبيد العدو خسائر في الأرواح والمعدات
حصار الز عاطشة الأول		
رد فعل باي	أحمد باي وأنصاره	القضاء على الأعراش الموالية.
معركة أولاد جلال غرب بسكرة سنة 1847	الشريف بومعزة المختاربن عبد الرحمن	رغم الانتكاسة ,إلا أن المقاومين صمدوا.
ثورة الز عاطشة 1949	الشيخ محمد بن عبدالرحمن بزيان	التصدي لفرنسا وقيام الوحدة بين القبائل.
أحداث 1852 في منطقة الزاب	الشريف بن عبدالله	السيطرة على بنطيوس
أحداث 1853بمنطقة وادي التل	سلطات بسكرة	إلحاق هزيمة بأولاد ساسي
ثورة أولاد منصور وأولاد أعمر1960	سي محمد بوخناش	أهميتها الاستراتيجية في توسيع المقاومة .
مقاومة المقراني 1871 بمجانة	الشيخ محمد بن أحمد المقراني	مقاومة العدو وتحقيق انتصارات كبيرة
ثورة الأوراس 1879	ابن جار الله	تكتل القبائل معلنة الجهاد
ثورة محمد بن عبد الرحمن سنة 1879شمال منطقة بسكرة	زعيمها المسماة باسمه	خسائر مادية للعدو رغم الانسحاب.
مقاومة لالا فاطمة نسومر1854 جرجرة	لالا فاطمة نسومر	قتل اكثر من 58عسكري منهم 25 ضابطاً.
مقاومة الشيخ بوعمامة 1881 بمنطقة عين الصفراء والبيض	الشيخ بوعمامة	إنهزام الجيش الفرنسي.

منطقة الزاب مئة عام من المقاومة.ص:299, 305, 361

ثالثا: شعر المقاومة الفصيح

التصريح بالجهاد

الدعوات الصريحة إلى الجهاد والنضال ونداءات الكفاح من أجل الوطن هي التي سّرعت لأن تمر الثورة على هذا النحو الآتي:

*البحث عن الذات من سنة 1830- 1945م)

*مرحلة اليقظة من خلال أحداث الثامن ماي 1945 وما نقله الشعراء من أحاسيس.

*تفجير ينابيع الإحساس المرير في شعر محمد العيد آل خليفة.

*الحماسة في الشعر وإبداء النزعة الثائرة بعلامات السخط والنقم على العدو.

إرهاصات الثورة المظفرة:

مما لا مراء فيه أن الشعر الجزائري أرهص للثورة وتنبأ بها وحض عليها بكل صراحة في أغلب الأحيان ,ورمز إليها في أحايين أخرى, ومن تلك القصائد :

من جبالنا طلع صوت الأحرار ينادي ـــــنا للاستقلال

يناديـنا للاستقلال الاستقـــــــــلال وطننا

*مرحلة الكفاح المسلح: من الفاتح نوفمبر 1954م :

لم يتخلف الشعراء عن سفينة النجاة والأخذ بأسباب الانعتاق واسترجاع الكرامة, فهذبتهم كانت قوية وصداها بلغ الآفاق بالذي كان ينشد وتردده الألسنة بشدة ونبرة قوية تحرك الكوامن والسواكن والجماد فيتزعزع الظالم وتتلاشى قواه بين الالتئام والالتحام ,أي بين الساعي إلى الحق, والقائم على الباطل ,وقديماً قالوا إن الحق أبلج والباطل لجلج.

دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث ..ص:127

والثورات قد تكون حلماً ,لكن حينما تتكاتف عواملها الأساسية من حفز وتحريض, سرعان ما تنشط كالبركان الخامل فتصبح حممه متدفقة بلا تقطع ,وتعاضد النضال السياسي والكفاح المسلح ما هما إلا وجهان لعملة واحدة, طالما أن الغاية لا اختلاف بينها.

والمفارقة بين الشعر الثوري واضحة, وليس هنالك ما يجعل الأدب الذي يظهر بعد أن تشتغل الثورة وتحقق أهدافها,فيعتبرمن اتجاهه ووظيفته ,فينهض الأدب الموضوعي .من قصص ومسرحيات ليتسلم قيادة الأدب بعد أن كانت للشعر غالباً موكلة مهمة المفاهيم الثورية وأهدافها ونتائجها.

وقد عمّق طه حسين ذلك إلى ما هو أبعد ,حيث يرى ,أن هذا الأدب الذي يأتي بعد سنوات من انتهاء الثورة ,فيصورها أولاً ,ويصور أثارها في حياة الناس,ويحبب إليهم هذه الآثار ويدفعهم إلى الأمام في ميدان الرقي والإصلاح والتجديد.

الأجيال التي تأتي بعد الثورة هي التي تنشئ أدب الثورة, لأن الأدب الحي والمتزامن وأحداث الثورة غالباً لا يستوعب كل المجريات بقدر ما يكون أدب ارتجالي انفعالي غير هاضم ومحتوي بوعي كل الأبعاد العميقة لهذه الثورة,إذيتاح للأدب ما بعد الثورة ما يمكنه من أسباب الابتكار والإبداع في ظل المفارقة بين الاستقرار والإنعام بالحرية والاستقرار, والتطور في جميع مناحي الحياة.

ومن هنا - فرّق الدكتور عزالدين اسماعيل – بين مصطلح شعر ثائر أثناء الثورة لما فيه من انفعال مفرط وحماس فياض ,وبين مصطلح شعر الثورة الذي يأتي بعد استكمال حالات المواجهة ونجاح الثورة.

خصام ونقد .د/طه حسين: 158.

أوراق نقدية. د/ابراهيم رماني.ص:44, 52.

ومن القصائد التي بدت علامات التأثر الشديد لفظاعة جرائم الاستعمار الفرنسي في الثامن ماي 1945 ولهول تلك المجازر المقترفة في حق الجزائريين الذين خرجوا يهتفون بالحرية, لكن رد المتغطرس الجائر المتعجرف قابل الأفراح أحزاناً وتفتيلاً وتنكيلاً وقصفاً واعتقالاً ورمياً بالرصاص للأبرياء فكانت الحصيلة ثقيلة جداً لم يشهد العالم لها مثيلاً في تاريخ العصر الحديث ,فواقع الصدمة كان عنيفاً على الشعب الجزائري والأمم الرهيفة الإحساس, وشاعرنا يصور المأساة في قصيدته لاأنسي بقوله:

أأكتم وجدي أو أهدئ إحساسي وثامن ماي جرحه ماله آسي

وأرقب ممن أحدثوه ضماده وهم في جماح لم يميلوا لإسلاس

تمر الليالي وهو يدمي فلن نجد له مرهما منهم سوى العنف والباس

إذاما رجونا برأه ثرّ دافقاً بأحداث سوء وقعها مؤلم قاسي

إلى أن يقول عن تلك الشائع والجرائم بوصفه قريباً منها, ولما خلفته من آثار نفسية على نفوس معظم الذين عاشوا الأحداث الدامية والتراجيدية:

فظائع ماي كذبت كل مزعم لهم ورمت ما روجوه بإفلاس

ديار من السكان تخلى نكاية وعسفاً وألحياء تساق لأرماس

وشيب وشبان يسامون ذلة بأنواع مكر لاتحد بمقياس

وأحباس شر أجمعت سجناؤها ومعتقلوها أنها شر أحباس

إن التحليل المعمق للأحداث وتفاعلها مع نفسية الشاعر ولما كان مستحوذاً على بؤرة شعوره سيما اهتمامه المنصب حول البعد النفسي والاجتماعي لأفكاره وعلاقتها بما يجري في واقعه

ديوان محمد العيد.ص:325

مقدمة في علم النفس الأدبي .ص: 126

والنهوض بالثورة في كلمات محمد العيد الموجهة إلى ابن البلاد وبعد تلك التي خصّ بها الفتاة في موضوع آخر لايقل أهمية في حمل مشعل الأجداد ,لكثرة طول إنتظارالوعود ,يقول في قصيته ياابن الجزائر :

فقم ياابن البلاد وانهض بلا مهل فقد طال القعود

وقل ياابن البلاد لكل لص تجلى الصبح وانتبه الرقود

فخض ياابن الجزائر في المنايا فخض ياابن الجزائر في المنايا

بإخلاص وإقدام وعلم يسود على البرية من يسود

بغي الباغي رداك فخاب سعياً وللباغي الردى ولك الخلود

مناسبة القصيدة تاريخياً أنها نظمت مباشرة بعد اجتماع عقد بالعاصمة سنة 1936 والذي حضرته جميع الاتجاهات والأحزاب,وأطلقوا عليه شعار المؤتمر الإسلامي الأول,حيث وضعوا فيه استراتيجية توافقية بين كل الأطياف السياسية.

وطلب الشاعر بصيغة الأمر وإردافها لايحمل إلادلالة الهبّة وعدم التماطل,لأنّ الأمرلايحتمل التباطؤ أو التأخير لعظم الخطب وخطورة الموقف,إذ عزف الشاعر على أوتار الوطنية الحقة وما يجب القيام به إزاء ذلك الوضع من استباحة للدماء وتشويش على العقول وتردي من كل ناحية.

فمحمد العيد لم ينتكس على نفسه مع عظم الأوضاع وتفاقمها,فهو ليس مثالاً للشعراء الآخرين الذين اكتفوا بالنحيب حين تحل النكبات ,إنما غلب على أفكاره ما يسترعي اهتمام الشعب فلا يتحدث إلا بصوته , ولايلقي با للائمة على شهر أو يندب حظاً لأنه يرى لا التباكي مجد ولا الحنين إلى الماضي محقق للمبتغى ,لأن مصير الشعب بيده وسبيله في كسر الجبروت وبلوغ المنى والسعادة.

وما دأب عليه محمد العيد الالتفاتة إلى كل الحوادث دنيها وقصيها فلم يترك حدثاً يعبر من غير توفيته حقه من الشعر.

دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث :55 . 56 .

رابعا: دورشعر المقاومة في مسار الثورة:

لا ينفك شعر المقاومة عنها عبر أنفاسها ولحظاتها والذي يدخل في حساباتها الرقمية, لما يعلم من ضريبة الفداء قولاً والاكتواء بالنيران فعلاً وميداناً, إذ يقول شوقي في تأكيد الحقيقة ما نظمه في قصيدته نكبة دمشق سنة 1936,حين تعرضت لقصف الفرنسيين واعتداءاتهم أنداك مبدياً تضامنه مع الشعب السوري الشقيق بقوله:

ففي القتل لأجيال حياة وفي الأسرى فدى لهم وعتق

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

والعربي منذ القدم مكمن حياته في التضحية والذود عن الأرض والعرض فقد تملك قلبه النضال وإثار البقاء على الفناء مصداقاً لقوله عزوجل: [ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاخوف عليهم ولاهم يحزنون] سورة آل عمران الآية:175.

وممن جمع بين المقاومة والشعر الأميرعبدالقادربن محي الدين , إدكان لشعره لمسه البادية الأثرفي إذكاء الحماس والرد على الأعداء بما كان يستنفر به جنده كلمات نارية تلهب السامعين فيقبلون على الجهاد زرافات وأفرادا, لا يأبهون بشيء سوى النيل من عدوهم ودحره.

ومما ورد للأمير من قصائد تحمل دلالة المقاومة: بنا افتخر الزمان:

لنا في كل مكرمة مجال ومن فوق السماك لنا رجال

ركبنا للمكارم هول وخضنا أبحراً ولها زجال

مظهر الإشادة بالمكارم من المناقب التي تداولت في شعرنا العربي.

إذا عنها توانى الغير عجزاً فنحن الراحلون لها العجال

ديوان الأميرعبدالقادر.ص:46

الشوقيات لأحمد شوقي.ج02.ص: 77

الفصل الأول

الفصل الأول:الشاعر محمد العيد آل خليفة نموذجاً:

المبحث الأول: حياته وشعره:

كثيرة هي الألقاب والنعوت التي أطلقت على الشاعر محمد العيد آل خليفة من قبل أعلام جزائريين وغيرهم لتميزه عما سواه في كل ما يتصل بحياته وشخصيته حيث لقّبه الشيخ عبد الحميد بن باديس "بأمير شعراء الجزائر" وبعضهم لا يكاد يعرفه إلا برائد الشعر الجزائري الحديث سيما شيخ المؤرخين الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله من خلال كتابته عنه تحت هذا الاسم وأطلق عليه الدكتور محمد بن سمينة حسان الجزائر وهو محمد العيد بن محمد بن خليفة من أولاد سوف من الشيخين محمد الكامل بن عزوز وأحمد بن ناجي غلى غرار من سماه بشاعر المغرب العربي ,وما إليه من الألقاب الأخرى التي ألصقت به.

ولد شاعرنا الفذ بتاريخ 28أوت من سنة 1904م الموافق ل27 جمادى الأول1323.

انتقل مع أسرته إلى مدينة بسكرة – بوابة الصحراء الجزائرية ستة 1918 واصل دراسته بها على يد المشايخ منهما على بن ابراهيم العقبى الشريف والمختار,ولد في أحضان أسرة متدينة ,وتحت رعاية أب صوفي فترعرع في ذلك الجو الأسري الذي يشيع بالتقوى والعفة والورع فتملك نفسه حب العقيدة الإسلامية التي ارتوى من نبعها في ظل الأخلاق الفاضلة والإيمان بالإسلام والوطن والإنسانية.

منابع ثقافته: أول تعليم الشاعر كان في الكتاتيب التي حفظ منها كتاب الله عزوجل وعمره لم يتجاوز الثانية عشر إلى جانب تلقيه الحديث وأصول الدين واللغة على مشايخ بلدته , وما لبث حتى سافر إلى تونس ليعمق معارفه اللغوية والدينية بجامع الزيتونة سنة 1921 ولم يمكث هناك إلا مدة سنتين ليعود بعدها إلى أرض الوطن بسبب ما ألّم به من مرض وذلك سنة 1923دون أن يحوز على شهادة أو إجازة علمية , إلا أن ذلك لم يقف حائلا في طلبه للعلم فأخذ عن محمد البشير الإبراهيمي والطيب العقبي بعد اتصاله بهما وهما من الأعلام الذين يشق لهما غبار, ومما كان قد درسه من العلوم الفقه والحساب والفلك والتفسير وعلوم البلاغة.

ولا يألوا الشاعر جهدا من أجل القضية الكبرى التي استوعبها وجعلها من أولى أولوياته فكان اللسان الطليق والقلم السيال الذي لا ينضب رغم ما تعرض له من مضايقات فلم يكن ليشغله شاغل عنها لما يدركه من حقيقة للحرية التي تعني الحياة.

بداياته مع الشعر: تعود تلك البداية الأولى حينما قدم شاعرنا في حفل أقيم ببلدته بمناسبة قدوم شعراء من المشرق وعمره لم يتجاوز أنداك السابع عشرة من عمره , مستفيداً من مصادر الشعر الجاهلي خاصة أولئك الفحول ,ومما أخذه على من تتلمذ لهم في مجال الشعر كالسائح حقي الجنيدي, ومحمد الأمين العمودي وأحمد مكي. ومحاولاته في نظم الشعر والتمرس بقوافيه مقلداً ومقتبساً تارة ,إلى أن بلغ نضجاً وسعة, فكان مداعباً لبحور الشعر مجارياً للشعراء المشارقة متأثراً ومبدعاً ومنوعاً لمختلف أغراض الشعر, ومواكباً لأحداث عصره متفنناً في التفاتته لمعظم قضايا زمنه وطنياً وإقليمياً وإنسانياً, إذ لم يكن من اولئك الشعراء الذين يوصفون بضيق الأفق لاطلاعه على الأحداث رغم نقص وسائل الاتصال, سيما وأنه من رجال أعلام عصره بما كان ينشره في صحف صدى الصحراء التي تأسست سنة 1925 ثم بعدها حين أصدرت جمعية العلماء المسلمين الجزائيين جرائدها من قصائد تتضمن مجريات الوقائع في الجزائر. وما يثيره من موضوعات ذات صلة بالوضع الراهن والحساس أنداك وعلى أكثر من مستوى ,لما كان يبتغيه من خلال رسائله المتميزة بنزوعها الإصلاحي الوعظي موازاة مع مساعي كوكبة الأعلام في الجزائر ودعماً لدروسهم ومحاضراتهم في مختلف المناسبات, وقد دأب على ذلك حتى غداة الاستقلال إذاما قمنا بعملية إحصائية لأشعاره ,وجريد صدى الصحراء هي منبر من منابر الأعلام المستقطبة للشعراء والدعاة من رجال الإصلاح في الجزائر, حتى قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ,ثم ما كان يبث في جريدة المنتقد مما هيأ الشاعر لأن يكون أحد رجالها الأوائل بما فتح الله عليه من بصيرة وحس خلق واستقامة على ما تربى عليه في النواة الأولى في تكوينه.

البنى الأسلوبية في شعر محمد العيد آل خليفة:ص:14

وعن مسيرة الشاعر مع النظم فقد خطا خطوات ثابتة فلم يغب عن الحوادث, ولم تتجاوزه الأحداث بوصفه الشاعر الراصد لكل حادثة من حوادث دهره, كما أنه لم يكن ليوقف ذلك إلا على لغة الأوزان والقوافي بل كان يسجل حضوره في تلك المنابر الإعلامية بمقالاته خاصة منها المقال الذي أثار جدلا وصدى واسعين والذي عنون "نهضتنا اليوم وكيف يجب أن تؤسس" إذ عده بعضهم بأنه الإشارة الأولى لتأسيس حركة إصلاحية في الجزائر طابعها ديني وصبغتها الدعوة إلى الإصلاح لما كان من تبني للفكرة وبلورتها في قلب المفاسد ودرئها قصد جلب المصالح التي تبنى عليها بغية تحول المجتمع إلى ما يعود عليه بالنفع والخير العميم ركباً إلى المعالي بدل البقاء في وضع مزري لا يمت بصلة لما ينتسب إليه الجزائريين.

مهامه وأعماله:

شعلة محمد العيد متوقدة غير منطفئة بما حباه الله من علم ومعرفة ووطنية وإخلاص الأمر الذي جعله متعدد المهام والنشاطات سواء التي أسندت له أوماكان منه مبادرة. حيث مارس التدريس التلقين لكثير من الذين لم ينعموا بنعمة العلم لما أطبق عليهم من جهل وما خيم على نفوسهم من خرافات وعشش في نفوسهم من أباطيل, فتصدى لذلك بتخصيص دروس تحجب ظلام الجهل الحالك ,وتبعد شرور الترهات وما كان يعج من مفاسد لغياب ما ينير العقول من مدارس ودور للعلم والثقافة في ذلك الوقت عنوة من المستدمر,وما أبداه من مواقف تجاه من استولوا على البلاد وأهلكوا العباد بما عاثوا فيه من فساد وانتهاك وخروقات ما أنزل الله بها من سلطان لتوالي الآهات والصيحات وأنين الآلم.فقد عني بالتدريس في مدينة باتنة وتبوأ مجالس العلم والذكر هناك والتي مكث بها مدة ست سنوات يدرس ويعلم بإحدى المدارس ,لكن بعد أحداث الثامن ماي 1945أغلق المستعمر تلك المدرسة, مما اضطره إلى التنقل إلى عين مليلة من أجل الاستمرار في تنوير النشء وتربية الأجيال وهي كلها مشاريع رسمتها الجمعية لاستكمالها إعداداً لما كانت تستهدفه من بناء توعوي لكسر جبروت الاستعمار.

المرجع السابق ص: 14, 20

آثاره وما خلّفه :

*يتصدرها ديوانه الشعري الضخم والذي صدر في طبعات ثلاث من سنة 1967 حتى سنة 1992.

*بعض المقالات والخطب وأعمال مسرحية نشرتها في صحف وجرائد كصحيفة [صدى الصحراء] و[والإصلاح]وما نشرته أيضا له صحف جمعية العلماء المسلمين وماكانت تدفقه اقلامها من كتابات ومقالات وخطب ودروس في الوعظ والإرشاد.
* قصيدة من القصائد الطوال بعنوان "من وحي الثورة والاستقلال «نشرت بمجلة المعرفة الجزائرية.

*مسرحية شعرية بعنوان بلال بن رباح 'والتي طبعت بالمطبعة العربية الجزائرية سنة 1938.

وفـاتـــه : بعد أن عاش شاعرنا خمس وسبعون سنة كلها حافلة بالأعمال ولم يحول بينه وبين ذلك النشاط الذي اعتاده إلا المرض العضال حين ألّم به وأقعده طريح الفراش بمستشفى باتنة , لتصعد روحه الطاهرة إلى بارئها, يوم الأربعاء 17 رمضان وهو يوم مشهود في تاريخ الإسلام الذي تستحضر فيه الذاكرة الإسلامية يوم بدر ثم ينقل جثمانه إلى البلدة التي أنجب منها , وذلك بطلب من عائلته ليدفن بعد يومين من وفاته بمقبرة العزيلات ,تاركا وراءه بنتين وزوجة وثلاثة ذكور فرحم الله شاعرنا وجزاه عن أمته خير الجزاء على ما قدمه لصالح الوطن والأمة والأجيال من تربية وحسن خلق وورع وتقوى.

المبحث الثاني: مظاهر المقاومة في شعرمحمد العيد:

المتفحص لشعر محمد العيد والمدقق لديوانه وما يضمّه بين أتونه يلمس الكثير من الخصائص التي تضعه في خانة دون سواه من الشعراء الجزائريين والمغاربة في زمنه ولعل أبرزها تتجلى في السمات الآتية:

*تنوع الأغراض الشعرية

*الجمع بين الحدث والمناسبة

*تلوين الأشعار بما يناسب كل موقف من المواقف.

*تخصيص جزءً من الأشعار لما يصلح للإنشاد.

*النزوع الإصلاحي الذي يطبع أغلب شعره.

*الهدوء والثبات وعدم التغني بالذات.

*النفحات الإسلامية الغالبة على الشعر.

*الاقتباس من روح التشريع بفعل التأثر والاغتراف من ينابيعه.

*الاعتزاز بالعظماء تخليداً لمآثرهم ومكانتهم في النفوس.

وعلى هذا الاتساع والفضاء الكبير الذي يشغله شعر محمد العيد بين أترابه ومعاصريه ,فالذي تمكنا من الوقوف عليه كنماذج تبسط بجلاء ما يعكس مظاهر المقاومة المجرودة سواء المتناثر منها, أو المجمل تحت اسم الثوريات والبالغ عدد قصائدها إحدى عشرقصيدة,ويضاف إليها خمس قصائد أخرى خلّدت ذكريات الماضي وأمجاد بطولات شعب مقاومين أشاوش في تاريخ الجزائرالمجيد.وما كان خليطاً بين اجتماعيات وسياسيات فقد بلغ نحو ثمانية وعشرون قصيدة. ودراستنا لا يمكن بحال أن تحتوي هذا الكم من النتاج الشعري, وذلك بسبب قصر مدة البحث, ولما تحتاج إليه الأشعار من تروي في استصدار الأحكام ولما تفرضه آليات التحليل بكل مقاييسها ومنهجيتها المتبعة من قبل الدارس لها وفقاً لأي نمطية متبعة.

ومن النماذج التي آثرتها من باب تحيين المقاومة في الديوان أيضا من للجزائر: [1]

يالامع الجنبات هل برق على الجنبات هل؟

حييت من متلالئ بضيائه البصر اكتحل

إلى أن يقول:

من للجزائر يفتد بها اليوم من سفه السفل؟

من كل متكبر المكا ئد في عقائده دخل

يغري النفوس كأنه ذئب على حمل حمل

يامشهرين من العزائم مثل مرهفة الأمل

خوضوا بها الأمواج واع لوا الشهب واقتلعوا القلل

مناسبة القصيدة أنها ألقيت سنة 1933بعد انتهاء انعقاد المجلس الإداري لجمعية العلماء الجزائريين بنادي الترقي بالعاصمة أحد المنابر العلمية التي كان يشع منها نور العلم أنذاك على غرار الجامع الأخضر بقسنطينة ,ودار الحديث بتلمسان.

ولتثمين المقاومة من أطرافها فمحمد العيد أضفى عليها ما يحقق الاحتواء لكل ما من شأنه توسيعها وخدمتها وإعطائها دفعاً وسيراً في الاتجاه السليم الذي يبلغها حتمية إيجابية العواقب.

---

[1] ديوان محمد العيد.ص:421.

ومن المنظومات الشعرية في إحياء ذكريات الأبطال, ما أشاد به في قصيدته فابشر يا ابن محي الدين المخلدة لذكرى وفاة الأمير عبد القادر رحمة الله عليه, قائلاً:

أمير السيف والقلم المفدى ذكرتك فاعتراني الحزن جدا

ذكرتك يوم قمت تشن حربا لرد المعتدي وتشد شدا

ذكرتك يوم قدت الجيش تغزو ويوم جعلت الإسلام حدا

كأني بالجزائر يوم هبّت أرى روح الجهاد بها استدا

فأبشر يابن محي الدين أبشر فشعبك في الورى بلغ الأشدا

ذكرت بني الجزائر يوم قاموا بها في أوجه العادين سدا

وعن التفاتته للمرأة في شعره وما شغلته من حيز في شعر محمد العيد ,ليس من منظور الخطاب الذي اعتاد عليه الشعراء القدامى من نغمات يطغى عليها النزوع الذاتي العابث أو المفصح عن إحساس عاطفي إزاء المرأة,بل هو تصريح لمواقف جديرة بها المرأة الجزائرية, حين هبّت للذود عن حياضها وحصونها وأرضها وكانت سنداً لأخيها الرجل في معركة التحرير الكبرى, داعياً إياها لتلبية نداء الوطن منعتاً إياها في قصيدته بثورة بنت الجزائر التي يقول فيها:

ساهمي في الجهاد جند الجهاد وأعدي الفدا لنصر البلاد

يافتاة البلاد شعبك نادى فاستجيبي بعزمة للمنادى

جّد جدّ النساء وانطلق الركب مع الركب للمدى باتحاد

واستدار الزمان فالسعي للجن سين حتم عليهما والتفادي

كيف يرضى الجمود من كان حيّاً ليس يرضى الجمود غير الجماد

نحن عون الرجال في كل حال أيّ سعد لم يستفد من سعاد

فلنثر ثورة على الظلم كبرى ولتحطم سلاسل الأقياد

والجميلات ذكريات اصطبار وانتصار على الخطوب الشداد

الديوان:430

ومن النصوص النارية الأوقع أثراً في استنفار الجيش وتحريك همه واستنهاض الأمة بأسرها بلا توان أو تقاعس ,ما جادت به قريحة الشاعر في صوت جيش

متحدثاً باسم ضمير الجمع للمتكلم «نحن" حرصاً منه على استمرار التضحيات حتى بعد الجهاد الأصغر وما ينتظره من أدوار ,على غرار الدور الأساسي وهو حماية الوطن من كل غاز أو متطاول على سيادتنا والطامع في أرضنا والمتسلل لحدودنا.

نحن جيش التحرير جند النضال نحن أس الفدى نمور النزال

دمدم الطبل للنفير فثرنا وهززنا البلاد كالزلزال

واتخذنا من الجبال قلاعا نقرع السمع بالصدى كالجبال

فالإذاعات تنبئ الناس عنّا بانتصاراتنا بكل مجال

كم أقمنا شواهد الحق فيها وضربنا شوارد الأمثال

واقتحمنا الهيجاء ناراً تلظى كل صال منا بها لا يبالي

وأدرنا رحى الوغى فانتصرنا وأذقنا الأعداء مر النكال

وقبرنا استعمارهم وفككنا شعبنا من سلاسل الأغلال

نحن صدق عند اللقاء وصبر في اشتداد البلاء والأهوال

أيها الشعب إننا عنك ذدنا فظفرنا بأنقس الأنفال

إن حرية الجزائر حق ليس فيها من ريبة أوجدال

من أراد استعمارنا من جديد فهو لاريب طامع في المحال

كان يوم استقلالنا عيد شعب طافح البشر ساحب الأذيال

فالزغاريد والهتافات تعلى بين قرع الطبول والأزجال

ديوان محمد العيد.ص:427
الجميلات: الثلاث

ويمثل شهر نوفمبرلدى الشعب الجزائري الشهر المبارك لما وقع فيه من تحول على مجرى الحدث في الجزائر,إذلانطالع ديواناً أو عملاً أدبيا لأعلامنا في الجزائر, أوفي دول عربية تابعت وقائع المقاومة منذ انطلاقها خاليا من صدى الثورة في نظم شعرائها وخطب علمائها, وإعلاميها ومؤرخيها تعبيراً عن عظمة الثورة وانعكاساتها في تغيير كثيرمن الأحداث إقليمياً وعالمياً, وقد تغنى بها الشاعر مفدي زكريا الثورة بليلة نوفمبر الغراء أخصها بعشرين بيتاً تعتبر أمتز وأعنف وأشد لفظاً من كل الملحمة المسجلة لتاريخ الجزائر عبر التاريخ من القديم إلى الوسيط ومنه إلى الحديث وما تناوله كان يعد فال خير سيما تشبيهها بيوم الفرقان أي بدر الكبرى:

نوفمبر جل جلالك فينا ألست الذي بث فينا اليقينا

سبحناعلى لجج من دمانا وللنصر رحنا نسوق السفينا

وثرنا نفجر نارا ونورا ونصنغ من صلبنا الثائرينا

يقول: تأذن ربك ليلة قدر وألقى الستار على ألف شهر

وقال له الشعب أمرك ربي وقال له الرب أمرك أمري

ولعلع صوت الرصاص يدوي فعاف اليراع خرافات حبر

وتأبى المدافع صوغ الكلام إذا لم يكن من شواظ وجمر

وتأبى القنابل طبع الحروف إذالم يكن من سبائك حمر

ويأبى الحديد استماع الحديث إذا لم يكن من روائع شعري

والشعر والثورة أمران متلازمان دون الدخول في الجدلية القائلة بأيهما أسبق الثورة أم الشعر؟ وبناءً على مقولة رامبو أن [هدف الشعر هو تغيير الحياة] فليس ثمة فصل بينهما لتكاملهما ,ذلك لأن الشعر رؤيا جمالية في قالب فني والثورة فعل واع له قوانينه,حيث أثار بعض الدارسين هذه المسألة وكانت محل إثارة كالذي تعرض له صاحب خصام ونقد الدكتور طه حسين ذاكراً «أن مفهوم ثورة الأدب هي الأدب الذي يسبق الثورة ويمهد لها السبيل في حياة الأفراد والجماعات لها النفوس والضمائر, ويدفع الناس بما يعرض عليهم منمثل جديد يحببها إليهم قيما قديمة فهو الأدب الذي ينشئ الثورة ويقف إلى جنبها دعوة لها وإغراء بها. وما يراه- الدكتور محمد مندور – أن ثورة الأدب هي التي تمهد لثورات الشعوب وتضرم نارها, وأن البؤس نفسه لا يحرك الشعوب وإنما يحركها الوعي به والأدب هو الذي ينفث هذا الوعي ثم يستثيره."

الفصل الثاني

المبحث الأول: طابع البيان وسمة الخيال في شعر المقاومة:

تفنن الشاعر محمد العيد يتضح في مزاوجته بين الذوق الرفيع من خلال فرضه

إدراجه ضمن دعاة الفن للفن, لأن الشعر من وجهة ذوي حصافة الرأي ليس طرباً وغناءً ,بل هو رسالة ورؤية تجمع الناس مائدة المادة الشعرية ومصادر إلهامها ووحيها الأشكال والقوالب حسب الأذواق صدقا ومبالغة وإيغالاً ,وإن قيل قديماً أن "أعذب الشعر أكذبه" ورأي بعض الأقدمين يستدل بقول الأعشى:

إن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال له إذا أنشدته صدقا

وشاعرنا هجر الركيك من الشعر والتقليد المفرط بإدخاله لما تمثل في الشعر العربي الحديث معرضا لكبار شعراء عصره والقدامى منهم, حتى ولو تصيدنا ما تصيدناه من تناص واقتباس وهذا دأب كل مرتوي من نبع القافة الإسلامية ومشاربها العذبة, فضلا عن الاستفادة من مدارس الشعر الحديثة والدراسات الأخرى في مجال علم النفس ,وعلم الاجتماع ,ومدارس النقد وعلوم أخرى كالأنثروبولوجيا ومجالات المعرفة الواسعة من تاريخ وعقائد وإيديولوجيات كلها وظفت في شعره مما جعله يرقى إلى كرسي الشاعرية بامتياز في ظل التخبط الذي ساد الشعر العربي الحديث من اتباع لتيارات جارفة قلباً وقالباً ,وفي طل الإبقاء على موضوعات الشعر وطريقة نسجه تحت شعارات رفعت ولا تزال إلى يومنا هذا.

ومسألة الحفاظ على الأصيل, والولوع بالدخيل هي من المسائل التي تعيد نفسها عبر مسار الحياة , والنقد العربي مع مطلع العصر الحديث لم يشذ عن القاعدة في أخذه من مفاهيم الغرب وما نادت به مدارسهم واتجاهاتهم,وعلى هذا الأساس انقسم الشعراء العرب إلى ثلاثة مدارس وهي:-

1- مدرسة المقلدين:الذين حاكوا الشعراء القدامى وسلكوا مسلكهم بنية ونصاً.
2- مدرسة المحافظين :وهم من أبقى على أصالة الشعرالعربي رافضاً الجديد.
3- مدرسة المجددين:وتمثل الجيل الجديد من الشعراء بفعل الإحتكاك والتواصل مع الغرب وخير من يجسد هذا المنحى الشعراء المهجريين ومن حذا حذوهم في نسج الشعر.

الفلسفة الجمالية من مظاهرآخاذة كالطبيعة ومظاهرها التي كانت ولازالت من الأدوات التي يملكها الشاعر إذا ما أحسن توظيفها لأن العبرة ليس فقط بالإلتقاط للصور 'انما هو التجربة الشعرية وأن ينزود منها وبالاستسلام وقوة الروح كي يتقبلوا ويتحملوا اللحظات السامية واستيعابها.

وقد أرجح أرسطو صاحب أول فكرتنظيري منظم الدافع الأساسي للشعر إلى علتين أساسيتين هما:

1- غريزة المحاكاة أو التقليد.
2- غريزة الموسيقى أو الإحساس بالنغم ,وينفذ القاضي عبد العزيز الجرجاني في كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه)على جوهر الملكة الشعرية وطبيعتها حين يقول:(أن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء, ثم تكون الدربة مادة له, وقوة لكل واحد من أسبابه.)

ومن منظور أرسطو ,والجرجاني يكاد يسيري قولهما على ما يلح عليه نقاد الشعر ومن لهم قدم راسخة ويد طولى في نظم الشعر وأصحاب الملكات والمهارات.

وعند تطبيق تلك المفاهيم والنظرات على شعر محمد العيد فهي لا تخرج كثيرا عما ينزع إليه المحدثون من أن القصيدة في جوهرها تجربة لغوية, فهي في أبسط تصورلها لاتعدوأن تكون مجموعة من الألفاظ مرتبطة ومنسقة على نحو معين ,ولكنها حين تكونت على هذا النحو تكون قد اكتسبت شخصية لها حيويتها وفعاليتها وهذا الارتباط الخاص للألفاظ هو الذي يشيد العلاقات الجديدة التي تتمثل في صور التعبير المختلفة التي تظهر دائماً في الكتابة الشعرية, وأعني بصفة خاصة تكوين (الصورة) فالألفاظ في ارتباطها تكون في القصيدة مجموعة من الصور التي تنقل الشعور أو الفكر.

النقد الأدبي الحديث.د/غنيمي هلال.ص:374,

وولع الشاعر بحرف النداء الذي كرره في مطلع العديد من القصائد له غايات وأبعاد من حيث الدلالة, ذلك أن النداء هو من الأساليب الإنشائية الطلبية بحروفه المعتادة والأكثرها استعمالاً الحرف (يا) الذي يجمع البعيد والقريب إداكان في حكم البعيد لغة استناداً لقول ابن مالك في الفيته :

وللمنادى الناء أو كالناء يا وأي وآ كذا أيا ثم هيا

والهمز للداني ووا لمن ندب أو ياء وغيروالذي اللبس اجتنب

ومع قراءة في الديوان تمكنت من جرد القصائد التي عنيت بالنداء حسب أهميتها فكانت الحصيلة مجملة: يا وبالنداء لما فيه آل

02 قصيدتين

29قصيدة

ومن الجوانيب الفنية الرمز وموقعه في النصوص الشعرية وما كان مطروقاً من موضوعات وتنوعها الصوتي الدالة على تفجير الطاقة الإيحائية الناقلة لاهتزازات الحياة الباطنية ورعشاتها الغامضة.

الفية ابن مالك .ص:38.

غالباً يحتمي الشعراء بالطبيعة ومظاهرها فيسقطون عليها حالاتهم فيتخيرون من أشكاها ما يروقهم للتعبيرعن موضوعاتهم ,حيث يأخذون منها الصور الخلابة التي تعكس روح الجمال فيفتنة بها وبحدائقها الغناء وبركها المائية, وفي مقابل ذلك يلجأون إليها مناجاة وهذا الذي تمثله قصيدة أبا المنقوش حين وقف على هذا الجبل مستحضراً ومتأملاً عظمة الخالق,ومجلياً لما دار في خلده في تلك الفترة التي عاشها,وشاعرنا يلجأ إلى المتحرك وإلى الصامت من الطبيعة محاورا لها خلافاً لمن ينضون تحت المدرسة الرومانسية في الشعرالذين يطلقون العنان لعواطفهم ويحلقون بخيالهم في مهاوي الطبيعة فيوسعونها تعبيراً مفرطاً مغالاً فيه شد المغالاة.

يقول الشاعرفي قصيدته أباالمنقوش:-

أبا المنقوش هل تدري بحالي فأنت اليوم جاري في الجبال

ببسكرة النخيل حططت رحلي وأنت بأرضها حامي الرجال

رأيتك مشرفاً أبدا عليها كإشراف الولي على العيال

رماني حول سفحك موج دهري أسيراً بعد أحداث طوال

إلى أن يبدي بشموخه كي يأخذ منه العبرة ويتسامى بطوله عن الهموم التي توالت عليها ففي علوه ما يحتمي به في اللحظات التعيسة لأنه مأمن القاصد له,والمستروح النفس بصخوره ومأوى الجند ومسند الرحالة.

الديوان:425

والمبرز لتفنن الشاعر من غير افتنان بمظاهر الطبيعة التي استوحى ما يعبر عن أسرار الوجود دون احتماء بمظاهرها على ما اعتاد عليه الرومانسيين من تفاعل بينهم وبين مظاهر الطبيعة التي اتخذوها مظهراً أخاذا يلوحون به لاجئين ومفتنين , فشاعرنا لم يلف لفهم بقدر ماكان مرنا في توظيفه لتلك المظاهر سيما التي استهوته مسقطاً عليها وضعه وحاله,ثم كاشفاً لما يتخللها من خصوصيات بنبرة المتوجس الغامرللبحار والآوي للجبال والمفتن بالرمال هي كلها تعكس روؤى متباية في الشكل والموقع,لكن البوصلة الدالة على اتجاهاته هي من صنع الشاعر,وبدقة المتفحص تسنى لنا الدلالات الرمزية الموحية من غير إيعاز أوإشهارإدراك المعاني الرامية إليها لما استقطب الشاعر من صفات,ومن ذلك نصه المنظوم في يابحر:

يابحر أفديك بحرا ملكت قلبي سحرا

بهرتني بصنوف من المفاتن كبرى

أرى عليك مآت من المناظر تترى

تبدو مياهك زرقا للناظرين وخضرا

فليس لونك ليلا كمثل لونك فجرا

يابحر أنت أنيسي إن ضقت بالهم صدرا

الشاعر يصرح ويبوح بخقيقة البحر إذاما داهمته المحن واشتد عليه الشدائد فلا يجد بداً سوى اللجوء إلى الطبيعة بغية التخفيف من حدة الهموم والمحن ,وهي صفة اعتاد عليها الشاعر كغيره من القدامى خاصة في العصر العباسي كقصيدة البحتري في وصفه لإيوان كسرى لما نزلت به هوالآخر النكبات بعد مصرع الخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان,إذن هي خاصية لازمت الشعراء.

الديوان .ص:63

والوجوه البلاغية والأسلوبية كثيراً ما ابتكر فيها الشاعر ما يجسد به مواقف سواء الخيالية أو الواقعية, من إضفاء مجسمات الحياة بأسلوب حواري ولغة بسيطة مستساغة خاضعة لنسق صوتي غير ثقيل أو عويص الفهم لأن خطاب الشاعر لم يكن موجه إلاّ لمجموعة معينة حتي في حالة التخصيص يحف كلامه بما يفيد التعميم.وسبق وأن أشرت إلى عدم الإحاطة بكل ما يعلق بفنيات الشاعر لكونه جمع بين الأصالة والحداثة.

ومما عثرت عليه في شعره الإكثار من الاستفهام بحسب مقتضى الحال,ومبدأ البلاغيين أن لكل مقام مقال,والمجمع عليه أن الاستفهام هو طلب الفهم ,لكنه يخرج إلى أغراض يستفاد منها في السياق الكلامي ومنها لدى الشاعروفقاً للجدول أدناه:

الأداة	عدد استعمالها
هل	30 مرة
كيف	29 مرة
من	08 مرة
الهمزة	03 مرة
أين	02 مرتين
أنى	02 مرتين
ما	02 مرتين
ما عسى	01 مرة واحة
ماذا	01 مرتين
متى	

أمّا عن الأغراض البلاغية فمنها ما يدل على:

على النفي :في قوله: أغروراً تركتها أم نفورا أم كفوراًأم سخطاً أم شماتا

التعجب: أكل عصوره أمد اضطهاد وكل عهوده أمد احتلال

الاستبطاء متى توفى الوعود فقد مللنا تساؤلنا متى توفى الوعود؟

التقرير هل كان السودان شعب صالح فيه استقام الشيب والشبان

الاستعطاف أيحرم النفع شعب عليك بالنفع أجدى

الرجاء ياليل طلت جناحا متى تريني الصباحا؟

الإنكار: ألم يكفكم ما مرمن قتل أنفس ومن كم أفواه وخنق أنفاس؟

المبحث الثاني:

موسيقى الشعر وإيقاعه في شعر المقاومة عند محمد العيد:

لقد ظل الشعرالعربي قروناً من الزمن محافظاً على بنائه الشكلي دون محاولة من شاعر الطفو على ذلك القالب المعهود القائم على التقليدية أولما يعرف بعمودية الشعر أي التوازن في التفعيلة والإيقاع بين الشطرين أوالصدر والعجز حسب الإصطلاح العروضي,حتى وإن استقل كل موضوع عن الآخر تبعاً لما تمليه طبيعة البنية الشكلية للقصيدة,من التشبيب والوقفات الطللية إلى وصف الراحلة والرحلة ومنها إلى موضوعات تستهوي الشاعر, وتستولي على لبه فتتملكه فيندفع الصوت يقذف حمم العبارات تفصح عن ذوقه ووجدانه وبحسب ما يعترضه,ومعلوم أن البيت هو الوحدة الموسيقية القائمة بذاتها والتي تتكررفي القصيدة ,فلا يكون لطول القصيدة أوقصرها أي دلالة موسيقية سوى من الناحية الكمية , وذلك التساوي في الحركات والسكنات وإن اختلفت ثانيهما عن الأولى.

والقدامى أصدروا حكما مفاده أن اختيار الأوزان له علاقة بالحالة النفسية وهو ما ورد على لسان الخليل بن أحمد بناءً على استقراء له,إذ وجد أن الشعراء حين يعبرون عن حالات الحزن يوظفون الأوزان الطويلة ,وإذا أرادوا التعبير عن حالات السروروالبهجة ينتقون الأوزان القصيرة.

وبعملية إحصائية من خلال دراسة قام بها بعض الباحثين لأوزان الشعر العربي القديم توصلواإلى أن أغلبية الأوزان التي استعملها القدماء أغلبها من الطويل والبسيط لأنها تسير بموازاة مع الأغراض الشعرية التي كانت متداولة وتنسجم وطباعهم وبساطتهم فمثل هذا التحليل يؤكده المنظومات الشعرية,عند امرئ القيس والنابغة الدبياني ,وزهير بن ابي سلمى وغيرهم من فحول الشعراء.

التفسير النفسي للأدب.د/عزالدين اسماعيل.ص:77

أمّا موسيقى الشعر العربي الحديث,فقد عرفت نقلة وتحولاً على مستوى الأوزان ووظيفتها في مجال الشعر بفعل التواصل والاحتكاك بالغرب محاولة كسر ما أسماه بعضهم بالقيود التي فرضت على الشاعر, ومن المبادرات الأولى الخروج من إطار وحدة البيت الموسيقية المتكررة في القصيدة كلها ,ومن القافية التي تلتزم في الأبيات كلها من حيث هي صوت مفروض,والمحاولات الأولى كانت جزئية والسباقون إلى التلوين الموسيقي الداخلي في البيت يرجع إلى شعراء المهجر مثل قول : الشاعرإلياس فرحات:

ياعروس الروض ياذات الجناح ياحمامه

سافري مصحوبة عند الصباح بالسلامة

واحملي شوق فؤاد ذي جراح وهيامه

فكل المحاولات تهدف إلى تفتيت بنية البيت الموسيقية القديمة 'إذ نلاحظ عدم تكافؤ البيت على نسق عمودية الشعر,وثمة محاولات أخرى المجال لايتسع لها وهي ليست موضوعنا في هذه الدراسة إنما عرضاً للإشارة ليس إلا.

إن مبدأ الإلتزام بالوحدة الموسيقية أضحى في العصر الحديث محل نقاش وجدل أخذ أبعاداً في الدراسة والتحليل, فثمة من معه وضده من المهتمين بالشعر ونقده, وهناك من لايعتبر القصيدة ذات التفعيلة أوما يدعى بالشعر الحديث أو الحر ليس بشعر رغم النظم فيه كشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا,وفريق آخر يرى فيه مسايرة لحركية العصر ومضاهاة الشعر الغربي وعروضه,وخير من يمثل هذا الاتجاه الشاعرة العراقية نازك الملائكة في شظايا ورماد حين نظمت قصيدتها الكوليرا,وإن كان حق الأسبقية أمر متنازع فيه بينها وبين بدرشاكر السياب من خلال قصائده مجملة في أزهار ذابلة ومنها هل كان حبّاً فأوزان الشعر الحديث لاتتجاوز البحور الصافية لتكرارها والتصرف فيها وفقاً للسلاسل الوزنية والحالات الشعورية التي تنتاب الشاعر.

ولأهمية الموسيقى في الشعروضرورتها للتفريق بين الكلامين المنظوم والمنثور على رأي النقاد ومنهم صاحب عيارالشعر ابن طباطبا "بأن الشعر هو الكلام الموزون المقفى الحامل لمعنى" وما يذكره في موضع آخر:"وللشعر الموزون إيقاع

يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه يجمع بين الوزن والإيقاع ,ثم يضيف إليه حسن التركيب واعتدال الأجزاء" فمن ثمّ يستوجب الأمر العناية بأحد قوائم المنظومة الشعرية لما يترتب عليها من صفات صوتية لها تأثيرها على مستوى النص ككل متكامل أوالكشف عن مواقع الإخلال في نواح إذا لم تستثمر الأوزان لأنها خادمة للشعر وما تضفيه عليه من نغم وتكسبه من إيقاع في موسيقاه الداخلية والخارجية, والتمثل الحقيقي من انعكاس له أثره ووقعه فيحدث بذلك تناغماً وتجاوباً لامثيل له من خلال الاندماج والامتزاج المترتب عن تصوير موسيقي يصدر من ذات الشاعر وينبئ عن سر مكنون ومدفون في أعماق النفس تترجم معانيه تلك النوطات المنتقاة التي تستجيب للموضوع المتناول من قبل الشاعر يحدد الظروف.

وما نلحظه على محمد العيد بعد استقرائنا لشعره مدى تمسكه إلى حد بعيد بالبنية التقليدية القديمة للشعر, أو لما يعرف بعمودية من خلال الالتزام بالبنية الشكلية في مسار القصيدة ,حتى وإن بدت ملامح التجديد ومظاهره في العصر الحديث لكنه لم يكن من اولئك المولعين باقتحام القصيدة الحديثة أوشعر التفعيلة أو لمن يعرفه إلا بالشعر الحر, ثم الخروج فيما بعد إلى قصيدة النثر, والذي نشير إليه أن شاعرنا أخذ بطابع التلقائية في نظمه والدليل تنوعه في وظيفة البحور الشعرية وأجراسها سيما ذلك الانسجام بين الألفاظ متوالي المقاطع دون رتابة مطلقة حنى في حالة التكرار لبعض الأوزان, والذي يفرض الإيقاع المشاعر بحسب فتورها وتوهجها لأن اندفاع المشاعر هو بمثابة الحرارة التي تعطي الشرارة لتلتهب النفس انفعالاً وقد يبلغ في الإفراط ويتحول إلى هيجان ويصبح تياراً جارفاً عفوياً نشعر بنبض السخط والنقم والرضى والغبطة والتهكم والأسف, والشموخ ,ومالإليه لأن الإيقاع مصدره النفس وما يشوبها من لحظات مؤلمة, وما يسعدها فتتغنى لكل موقف وظرف بحب بلوغ ذروته .

جمع وتصحيح نصوص من عيار الشعر ل.د/علي بن محمد

وإذا أردنا الوقوف على البحور الشعرية التي كانت أكثرها توظيفاً واستعمالاً من قبل شاعرنا وفقاً لترتيبها يمكننا جردها في الجدول التالي:

البحر	الرتبة	العدد	النسبة
الكامل	01	47	% 18 ,72
الطويل	02	42	%16 ,73
الخفيف	03	38	%15, 13
البسيط	04	37	%14 ,74
الوافر	04	37	%14,74
المجتث	05	14	%05 ,37
المتقارب	06	10	%03 ,98
الرمل	07	08	%03,18
الرجز	08	07	%02,78
السريع	09	04	%01 ,59
المتدارك	10	03	%01 ,19
الهزج	11	02	%00 ;79
المديد	11	02	%00 ,79

البنى الأسلوبية في شعرمحمد العيد.ص:82

خاتمـــــــــة

الخاتمة:

عادة يتجه الدارسون والباحثون في خاتمة دراساتهم وبحوثهم إلى استنتاجات مجملة يثيرها السواد الأعظم عقب كل فصل ,أو مع نهاية مجموعة العناصر التي انتقوها وجعلوا منها نقاطاً إشارية دالة بشكل قطعي داعمين لأحكامهم بما لايفسح المجال للتعقيب لما يلوحون به من مكتنزات معرفية ترفع كل لُبس أوما خامر بعضهم ا من أفكار فقد يجدون ما يشفي غليلهم إمّا لتبيث رأي وترجيحه أو رده بالحجة الدامغة من خلال تعقب ظاهرة من الظواهر الأدبية التي مجالها واسع لينصرف إلى فكرة أو محور بعينه ,ذلك لأن ترصد الظواهر بحاجة إلى وقت أطول وصبر شديد سيما إذا كان مجتمع فيه ركام من الجوانب التي يراد استظهارها والكشف عن خباياها من المستور والمدفون والمكنون في الشعر, ونعني بذلك ما حاولت القيام به رغم قصر الوقت وازدحام الأشغال فمثل شاعرنا بغية توفيته حقه من الدراسة لمظهر من مظاهر شعره ,إذاما استهدفنا لاشك في استحواذه على أوقاتنا قصد استجماع ما يمكننا من لملمة الكثير مما علق بشعره, وبالرغم مما حظي به من بعض الدارسين الجزائريين وغيرهم من إخواننا في المشرق العربي إلا أن ما نقرأه في تلك المؤلفات لم تمس إلا النزر اليسر مقارنة مع فحل من فحول الشعراء في العصر الحيث والمكانة التي يحتلها بين أقطاب الشعراء المعاصرين له أولمن أتوا بعده ,فأثره عظيم وقدره جليل وعطاؤه لاينضب,والذي اهتديت إليه في هذه المذكرة ليس الغاية من أجل إنهاء بحث أو جمع الغث والسمين, بل غايتي أسمى من كل هذا لأن شاعرنا ليس مجرد ناظم للشعر, إنما هو رجل يكاد تتمثل فيه خصوصيات العالم الورع الزاهد التقي الحاضر البديهة والارتجال, المتمرس بشؤون الحياة, فضلاً عما ينفرد به في زمانه خاصة تلك الإحاطة والعناية والحصانة الإلهية, فقد عاش مجاهداً بالكلمة المدوية ناصحاً وواعظاً ومربياً مرشداً مقاوماً للظلم وتحطيم الطاغوت بلسانه القويم وشعره الفصيح وإيقاعه بصداه الشديد, وما نخلص إليه أن شاعرنا بالإمكان أي يحظى بالدراسة والبحث بالنسبة لكل المتخصصين والباحثين في مجال البحوث الإنسانية, عدم وقف ذلك على اللغة العربية وآدابها.

ومأأقرّه بعد رحلة قصيرة مع الشاعر أنه لم يوسعه لافنياً أو فونولوجياً ووطنيا أوغيرها ما يحتوي شعره, فمسالة الاستيعاب وعدم الخوض في دراسة للشاعرفي البحوث والدراسات الجامعية لازالت لم ترق إلى مستوى الشاعر,وهوالذي نؤكد به أن دراسة محمد العيد لم بعف عليها الزمن كما يتراءى لبعضهم.

قائمة المصادروالمراجع المعتمدة:

*أوراق في النقد.د/ابراهيم رماني دار الشهاب باتنة 1985 .

*الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ج05 دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ص: 72., 74

*العقد الفريد لابن عبدربه.شرح وضبط وتصحيح أحمد أمين ,أحمد الزين ,ابراهيم الأبياري .ج05/ منشةرات دار الكتاب العربي بيروت 1982.ص:273.

*جواهر البلاغة في معالم المعاني والبيان والبديع . تأليف السيد أحمد الهاشيمي طبعة مجددة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . 2008

*تعريف الخلف برجال السلف.أبي القاسم محمد الحفناوي مطبعة يسر فوفنانة الشرقية الجزائر السنة 1906.

*دلائل الإعجاز في علم المعاني د.عبد القاهرالجرجاني .دارالمعرفة .بيروت لبنان.1981.

*المقدمة.ابن خلدون.دار الكتاب اللبناني.مكتبة المدرسة.1982.

*أدب المقاومة.د/غالي شكري.منشورات دارالآفاق الجديدة بيروت.الطبعة الثانية

*العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده.تأليف أبي علي الحسن بن رشيق.تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.دار الطلائع للنشر والتوزيع .2006 ص : 165.

*النقدالأدبي الحديث.د/غنيمي هلال.دارالثقافة ودارالعودة لبنان بيروت.1973

*النقد الأدبي في المغرب العربي.نشأته وتطوره-دراسة وتطبيق.د/محمد مرتاض منشورات اتحاد الكتاب العرب السنة 2000م

*النقد الأدبي ومدارسه الحديثة.ستانلي هايمن.تلرجمة إحسان عباس ومحمد يوسف نجم.دار الثقافة- بيروت.1981م.

*البنى الأسلوبية في شعر محمد العيد آل خليفة.د/نصر الدين بن زروق.دارالوعى رويبة – الجزائرالطبعة الثانية 2012. ص:11, 102

التفسير النفسي للأدب.د/عزالدين اسماعيل.دارالعودة-بيروت الطبعة الرابعة 1981م

*ديوان محمد العيد آل خليفة:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ص 10, 45 ,48,

*ديوان الأميرعبد القادر.دراسة وتحقيق وشرح. د/ العربي دحوط.ثالثة.

*الأسطورة في الشعرالعربي الحديث د/ أنس داود دار المنشأة الشعبية للنشروالتوزيع والإعلان ص:159, 184

*تاريخ الأدب الجزائري د/ محمد الطمارالشركة الوطنية للنشروالتوزيع الجزائر 1981 ص: 356, 367.

*دورالشعرالشعبي الجزائري في الثورة 1830 1945 د/التلي بن الشيخ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .1983.الجزائر.

*الأوراس في الشعر العربي .د/ عبدالله ركيبي الشركة الوطنية للنشروالتوزيع 1982.ص:11, 12 , 49

*الأدب الجزائري المعاصر.د/سعاد محمد خضر1967مشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت ص : 31, 32, 48

*الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر.د/محمد فتوح أحمد ط.2 .1978 دار المعارف.ص100, 222

*الإسلام والتاريخية والتقدم .محاضرة ألقاها الدكتورمحمد أركون في الملتقى الفكرالإسلامي العاشرالمنظم بعنابة سنة1976من مجموعة المحاضرات المجلد الخامس منشورات وزارة الشؤون الدينية ص:64, 68, 98.
*الشعر الديني الجزائري الحديث.د/عبدالله الركيبي المؤسسة الوطنية للنشروالتوزيع .الطبعة الأولى سنة 1981

*في الأدب العباسي الرؤية والفن.د/عزالدين اسماعيل.دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ص.ب 749السنة 1975م.
*الفن ومذاهبه في الشعر العربي.د شوقي ضيف.دار المعارف الطبعة العاشرة

*الشوقيات .أحمد شوقي ج01 وج02 دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
*في فلسفة النقد.د/زكي نجيب محمود .دار الشروق .الطبعة الثانية.1983م

*عوامل التطوراللغوي د/أحمد عبدالرحمن حمّاد.دار الأندلس الطبعة الأولى.1983

*محمد الهادي السنوسي الزاهري.حياته وشعره.أ.عبدالحميد غنّام.مشورات السائحي الطبعةالأولى.2007.القبةالجزائرالعاصمة.

*خصام ونقد.د/طه حسين. دار العلم للملايين.بيروت.الطبعة الثامنة.1978م

*الثقافة.مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر العدد 83.السنة 1984

*المطالعة الأدبية الموجهة للسنة الثالثة ثانوي الشعب الأدبية موفم للنشر.1995م

*علم البيان.د عبد العزيزعتيق .دار النهضة العربية للطباعة والنشر.بيروت.

*مقدمة في علم النفس الأدبي.محاضرات .د/خيرالله عصار.جامعة عنابة .مطابع الكرمل الحديثة.بيروت.ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر-1982.

*دراسات في الشعرالعربي الجزائري الحديث.د/عبدالله الركيبي.دار الكتاب العربي للطباعة والنشروالتوزيع حي العناصر القبة الجزائر2009

*الأدب الشعبي في منطقة أم البواقي.مذكرة ماجيستير.لراضية عداد جامعة منتوري قسنطينة 2006.

*ملامح المقاومة ضد الاستعمارفي شعرمحمد العيدآل خليفة دراسة فنية مذكرة ماجيستير لابراهيم لقان .جامعة منتوري قسنطينة.2007.

*الشعرالوطني عند محمد الغيد أل خليفة.مقاربة فونولوجية.مذكرة ماجيستيرل.فلاح نورة.جامعة بشار.2012.

*المبرزمجلة علمية فكرية تصدر عن قسم التبريز المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة الجزائرالسنوات مابين1997حتى سنة 1999 الأعداد من 08إلى 11.

*كتاب العروض القصيدة العربية بين النظرية والواقع/مصطفى حركات.1986. -

الملاحق

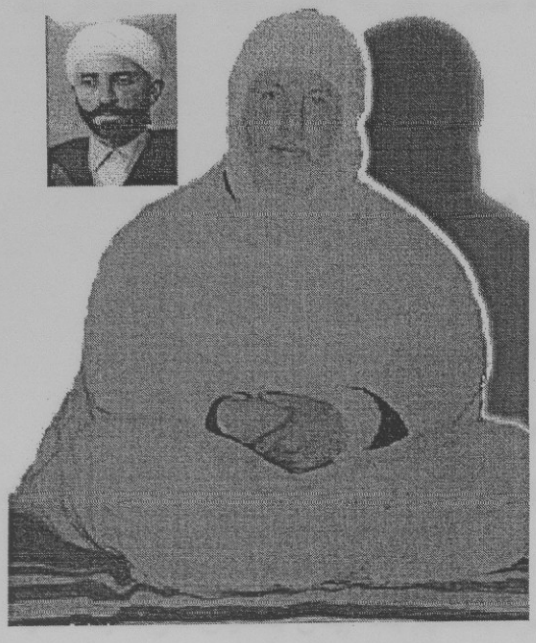

شاعر الإنسانية والمقاومة والنضال

محمد العيد آل خليفة .رحمه الله.

- يعد محمد العيد من الذين قاموا بأدوار عديدة ضمن الحركة الإصلاحية في الجزائر مند تأسيسها سنة 1931م,أبرز نشاطاته:

*ممارسته للتدريس وتعليم الصغار والكبار.

*الأدوار التوعوية وتحسيس الشعب الجزائري بما هو منوط به إزاء وطنه المغتصب.

*تنوير شعبه بمحو الجهل والقضاء على الأباطيل والخرافات التي عششت في النفوس.

*شحذ الهمم وتقوية العزائم للانتفاضة ضد العدو الغاشم.

*تعاطفه مع كل القضايا العادلة وقضايا التحرر في العالم.

*تضامنه مع الشعوب العربية وما شهدته من حركات ونكبات.

*نشره العديد من المقالات في صدى الصحراء التي تأسست سنة 1925م سيما مقاله بعنوان "نهضتنا اليوم وكيف يجب أن تؤسس والذي اعتبره بعضهم بأنه إيذان بتأسيس حركة إصلاحية في الجزائر. فضلا عمّا نشره من أعمال شعرية ومقالات أخرى في جريدة الإصلاح ,وصحف جمعية المسلمين الجزائريين كالبصائر والشهاب وغيرها.

سمات شعره:

ترتكز أشعار محمد العيد المفعمة بالاستجابة للأحاسيس على محاور أربعة وهي:

*الإسلام: من خلال ما أثاره من موضوعات ذات الصلة بالتعاليم الدينية وترسخ العقيدة في النفوس كذكره للموت والقبر, وما علق بالمناسبات الدينية وإحيائها.
*العروبة :لقد مزج الشاعر في الديوان بين الإسلاميات والقوميات ولاأدل على ذلك من بعض قصائده التي عبر فيها عن حقيقة التعلق وشدة الارتباط ,ومن تلك النماذج: ميراثيه لشعراء عرب مؤاساته ومؤازرته لكل العرب في محنهم ,الابتهاج وإبداء بالفرح والمسرة عند الظفر بالحرية لليبيا وغيرها.

كما نورد على سبيل المثال " ذكرى المولد النبوي ,تحية دار الحديث ,ياقوم,تحية مجلة نور الإسلام,يأمة الخير, ويخلد الإسلام, الثورة العظمى كسبنا نصرها,وإذاما حاولنا حصرها بلغة الأرقام فإننا نجد عددها بلغ 46 قصيدة, مرتبة حسب الديوان من الصفحة 75حتى الصفحة 238 .

*الوطن : وهو الذي شغل حيزا كبيراً من شعره لما كان يؤرق الشاعر من هموم في حلّه وترحاله وفي يقظته ومنامه ,وتحت قبضة العدو, وبعد تحرره.

*الإنسانية: وهو موضوع المداخلة الذي نرد به على ينعت الشاعر بأن خطابه لايخرج عن النزوع الإصلاحي بحكمه انضوائه تحت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ,لكن الممعن للنظر والمتفحص لشعر محمد العيد يلحظ بأن صوته لم يكن محدوداً ولا ضيقاً كما يترأى ,لما نلمسه من دعوات إنسانية لأن نظرة زعماء الحركة أفقها واسع وها هو الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بنظرته الثاقبة يؤكد ذلك في مقال وجهه للشباب الجزائري بقوله:[أتمثله واسع الوجود لاتقف أمامه الحدود ,يرى كل عربي أخا له أخوة الدم ,وكل مسلم أخا له أخوة الدين ,وكل بشر أخاله أخوة الإنسانية ,ثم يعطي لكل أخوة حقها فضلاً وعدلاً].

الإنسانية في الشعر ومظاهرها: إن النزعة الإنسانية لها جذورها في الشعر العربي وليست وليدة عهد يقول الجاحظ في كتابه الحيوان من الجزء الخامس حول الشعر:» فضيلة الشعر مقصورة على العرب ومن تكلم بلسان العرب" وما نسمعه ونقرأه اليوم من تجربة إنسانية وعاطفة إنسانية وبعد إنساني وموقف إنساني ,ومشاعر إنسانية فكل هذا لايخرج عن حقيقة التعبير عن ما يخص الإنسان وما يرتبط بقضاياه الماضية والراهنة والمستقبلية ,فيصوغها الشاعرفي قالب فني برؤية ترصد الواقع رصداً آلياً مستعيناً بإشارات ولغة رامزة قد يصل به الأمر إلى الغموض والإبهام لما يسخّره من أدوات ووظائف كاللجوء أحياناً إلى الأسطورة واستعمال الرموز على اختلافها من لغوية وطبيعية وتاريخية, وأسطورية ,وصوفية ,بحسب ما يقتضينه المقام أو يستجيب لموقف تبعاً لما ينتاب الشاعر من حالات شعورية تجسد اليأس والحرمان والقهر والخراب والدمار ,فضلا عما يخامر النفس من أمل وتطلع وأناقة وشموخ, وما نجلّي به دلالات الرمز في شعر محمد العيد قصيدته "ياليل "التي نظمها سنة 1951 وفي الديوان من الصفحة 45 حتى الصفحة 48 وعدد أبياتها 60 بيتاً مطلعها:

ياليل طلت جناحا متى تريني الصباحا

أرى الكرى صدعني بوجهه وأشاحا

أمسى علي حراماً ما كأن منه مباحا

إلى أن يقول في آخر بيتين منها:

نفسي إلى الفجر تاقت متى أرى الفجر لاحا

متى جناحك يطوى ياليل طلت جناحا

والليل هنا يرمز إلى الاستعمار الذي أطبق بظلامه الحالك على أرض الجزائر منذ احتلاله لها بداية من سنة 1830م, فمثل هذا الرسم الذي عُني الشاعر به من خلال اتخاذ الليل جزء من المعاناة لا يعبر إلا عن تجربته إنسانية تكشف عن واقع مرير لكثير من الشعوب التي اضطهدت وارتكبت في حقها مجازر شنيعة كالشعب الجزائري إبان الفترة الاستدمارية وما عانته شعوب أخرى وتعانيه إلى يومنا هذا.

ولا نبارح شعر محمد حتى نسجل له مالا يحصى من القصائد التي يسودها الطابع الإنساني, وقد نشير إلى بعضها لأن الوقت لا يتسع لعرض الكم الهائل وتحليله باسهاب,إنما من باب تقديم ومضات شعرية تبسط بإضاءاتها ما يجسد الجانب الذي نحاول تغطيته من منظور موضوعي.

ولعل أشهر القصائد التي وقع عليها اختياري للشاعر والمجلية للنزعة الإنسانية:

*أسطر الكون القائل فيها:

سئمت على شرخ الشباب حياتي فحرت ولم أملك عليّ ثباتي

أرى حظ أرذال النفوس مواتيتا وحظ كريم النفس غير مواتي

وتعد قصيدته من بواكير شعره في مرحلة الشباب والتي حُليت بحكمة ورصّها بنصائح وتوجيهات تعكس تجربته كفرد وما يدور في فلك الحياة, كما تحمل في ثناياها إساءات قيمة ترمي إلى النبل وما يجب التحلي به.

ومن قصائده أيضاً: ما نظمه في ابن آدم :

أنا المرء في مثل خلق الملك أنا العبد في صورة العاهل

أنا سيد الحيوانات في الكو ن من صادح فيه أو صاهل

حملت الأمانة دون السماوا ت والأرض فيها على كاهلي

وما عُني به أيضاً في خانة النزعة الإنسانية أيضاً ,وتحديداً ما يتعلق بالنقد الاجتماعي:

فتنة الوجود التي يقول فيها:

تعن لك الوجود مقسمات *** فتفتنك الوجوه بما تعن

على سكنات أهلها وقار *** وفي حركاتهم أدب وفن

وفضّل أن تصاب بألف داء *** وعرضك بالمعايب لا يزن

ومعظم القصائد التي المطبوعة بما هو إنساني لا تكاد تخلو من نمطية الصورة الإحيائية. غير أنها تكشف عن تجارب حياتية للشاعر لما كان يشكّله من ضمير جمعي للأمة وما يبعثه من شرارة الوصل بين الأجيال والأحقاب ومدّا لتلك الجسور لتوثيق عرى المجتمع الواحد وجعله متماسكا بفعل الروابط والخصائص المشتركة وما يجمعه من لحمة ووشائج لا يمكن فكّها أو تجزئتها أو عزلها لقوة الوثاق والنطاق. ومحمد العيد لم يكن من أولئك المُغالين في صورهم لمظاهر تناولوه في أشعارهم لإيمانه بما تحدث عنه وعالجه في نظمه ,فهو يستجيب للمطالبين بصدق الواقع ووصف دقائقه على رأي بعضهم "أحسن الشعر أصدقه «خلافاً لمن يرى "أن أعذب الشعر أكذبه" فالمظهر الجمالي الفني له مقتضياته تتمثل في :

*التجربة الشعرية. ما يوقف عليها من اجراء قبل أن يصوغ الشاعر أفكاره ومعانيه ويصبها في قالب معين.

*الصياغة والتشكيل: وتتجسد في استثمار السمات اللغوية بوصفها مادة التشكيل حقق التأثير المطلوب ,فالجانب اللفظي هولب العملية الإبداعية في الشعر, وصياغة الميدان الحقيقي لعمل الشاعر.

ولعل الطابع الإنساني في نظر الشعراء يشكل أغلب ما نظم في الشعر عبر مسار تاريخ الإنسانية لما شهدته من أحداث وتعرضت له من نوائب لمعاناة تجرعت ألامها وما تطلعت إليه من أفق تحقيقاً لآمالها, فسريان الحياة يمضي بخطواته وعبر نزعاتها إلى مساحات تمتزج فيها دعوات تربوية وعظيه للمنحرفين قصد تقويم سلوكياتهم واعوجاجهم بماهو أقوم وأصح سبيل للنجاة, وهو الذي عبر عنه شاعرنا في قصائد جمة ,نأخذ عينة منها لا يحدها المكان ولا تعتريها صروف الزمان كأبياته من قصيدة الخمر:

الخمر شربة رجس أم أرجاس الخمر صاعقة تهوي إلى الراس

الخمر محنة سوء من أصيب بها أصيب في كل وعي من حساس

الخمر فأس خراب هدمت أمرا مصونة عاث فيها صاحب الفأس

وبعد افصاح الشاعر عن حقيقة الخمر وأضرارها ومفاسدها ,دعا إلى درء تلك المفاسد بالتورع عنها في قوله:

وكيف تطفئ نبراساً حباك الله به رب البرايا وتبقى دون نبراس

فحطم الكأس واهجر كل رفقتها تمش سعيداً وتأمن ألسن الناس

وسيل عبير الإنسانية عند محمد العيد ليس محصوراً في قضية بعينها,بل يحيط بكل ما عاصره من أحداث طيلة حياته الملئ بالهموم والمعاناة من كل الجوانب,متخذا من الشعر الأداة الملفتة لماعاشه من أزمات دون الاكتفاء بالشكوى والاستسلام رغم تشعب القضايا واستعصائها في أغلب الأحيان فظل ثابتًا على مواقفه مقتنعاً بصوابه.

ولاأدل على مواكبته لقضايا ذات طابع إنساني من مواساته لشعب الحبشة لمّا سقط في يد إيطاليا وألمانية, إذ يقول في قصيدة ياشرق:

الخمر :من الموضوعات التي عالجها محمد العيد في شعره ,بدلالتها اللفظية والمعنوية.

من يسكت الليث ومن يسكن ؟	إن هدوء الليث لايمكن
غاب عن الغاب فلا موطئ	يرضيه كالغاب ولا موطن
دعوه يزأر واثباً بعدما	فالزأر والوثب له ديدن
نجا النجاشي ناشداً مأمنا	وما على وجه الثرى مأمن
أديس أبابا اليوم ديست فلا	أوراقها تندي ولا الأغصن

هذه القصيدة نشرت في جريدة البصائر سنة 1936م مدللاً فيها الشاعرإلى ما تعرضت له أثيوبا أنذاك جراء الحملات الاستعمارية في العصر الحديث وما ذاق الشعب الحبشي من ويلات لتكالب المد الاستدماري في إفريقيا وآسيا سيما الاضطهاد الذي لحق الشعوب المستضعفة والمغلوبة على أمرها.

وما نستشفه من سمات الطابع الإنساني في شعر محمد العيد ما يأتي:

*الإحساس العميق بهموم المجتمعات والأمم على اختلاف أجناسها وعقائدها وسياساتها.

*نبذ العنف وسياسة القمع والتكالب والظلم من أي طرف كان مصدره.

*تغليب العقل وإثارة الضمير بما يدفع الشعوب إلى العودة من الغي إلى الرشد.

*الشاعر لايخاف لومة لائم في قول الحق ونصرته على الباطل فهويصدع به صدعاً.

*تصويره مبني على روؤية نافذة وبصيرة متوقدة تبعث على التغيير من خلال عرض المواقف والدعوات.

*تجسيد الحوادث كما لو أنها أشياء ماثلة مجسمة للعيان لإعتماده الصفات الحية.

*الإيقاع الشعري المناسب لكل ظرف وحالة يعبر عنها بوعي واحتواء كاملين.

*اللغة والأسلوب التقريري عزّز رسائله وما تحتويه من مضامين عامة وخاصة.

*التركيز على ما ينشده بأساليب لها مقتضيات الغاية المستهدفة.

الديوان:ص:281.

المفردات:

الزأر:صوت الأسد

الليث: رمز للشدة والقوة التي يرد بها الشعب

النجاشي: ملكا كان للحبشة قديماً

النص الشعري المدروس

ياليل

1 ياليل طلت جناحا منى تريني الصباحا
2 ارى الكرى صد عيني بوجهه و أشاحا
3 انسى علي حراما ماكان منه مباحا
4 قد ضقت باهم ضرعا ما وجدت اشراحا
5 ملت فراشي نفسي واستوحشت منه ساحا
6 كأنني رهن سجن لم أرج منه سراحا
7 كان تحتي شوكا يشوكني او رماحا
8 ابيت وسنان مضنى أرجو المنى أن تتاحا
9 ضمآن انشد ماء يشفي الغليل قراحا
10 اجيل بالرأي فكري كمن يجيل القداحا
11 و أنظم الشعر وردا ونرجس و أقاحا
12 تأبى البلابل إلا ترغا و صداحا
13 وقد أرى المجد أجدى فأستحب الكفايا
14 و قد أرى الصبر أولى فأطمئن ارتياحا
15 وقد يهم فؤادي بأن يطير جماحا
16 و قد اسر بكاءي وقد أضج نواحا
17 و لايقر قراري الا أذا الديك صاحا
18 اري احا الشعر يسعى و لايصيب نجاحا
19 موكلا بخيال في وجوه الرحب ساحا
20 يخطو به خطوات الى الإمام فساحا
21 لكنها نخالبات نهاية و افتتاحا
22 في قلبه نزوات مثل الزناد انقداحا

23 وفي حشاه سهام قد اثخنته جراحا

24 اتى السراب ليروي ياويحه و استماحا

25 فلم ير السؤل جدا حتى استحال مزاحا

26 فلا جناح عليه في يأسه لا جناحا

27 أقبح بآمال نفسي وان تبدت ملاحا

28 قد او تقي كتافا فما استطعت براحا

29 كتمتها منذ حين لكن بها الشعر باحا

30 إن الشعور لداء أضر بي و أطاحا

31 من لا شعور بشيء له نجا و استراحا

32 ياليل اسرفت بردا وظلمة ورياحا

33 أطفيء حروبك عنا ولا تزدها لقاحا

34 قف لنعقد حلفا مابيننا و اصطلاحا

35 إنا عليك اقترحنا فما أجبت اقتراحا

36 ياليل ما فيك نجم جلا الدجى و أزاحا

37 الا كواكب حيرى لم تتضح لى اتضاحا

38 بطيئة لست أدرى بهاوني أم كساحا

39 تحكى ادلاء قومي مرضى تسوس صحاحا

40 من غلمة تتمارى وشيخة تتلاحى

41 ودوا النزاع فكانوا مثل الكباش نطاحا

42 أخشى على الشعب هلكا يبيده و اجتياحا

43 من ألسن قاذفات تهوي القبيح فصاحا

44 و أنفس خائنات تهوى الخنى و السفاحا

45 ومن قوانين جور سلت عليه صفاحا

46 ومن شقاء ملح غدا عليه وراحا

47 من أين يفلح شعب أبى الهدى و الصلاحا

48 خاض الميادين دعوى فأعقبته انتضاحا

49 لانه لم يهيء غير الكلام سلاحا

50 إن كنت أعزل فارقب من المغير اكتساحا

51 لا تنتظر منه خيرا ولا ترج فلاحا

52 و إن يعدك بخير يكذب عليك صراحا

53 إن قسته بـ (سجاح) في الكذب فاق (سجاح)

54 فايأس و لا تزقب من المغير سماحا

55 اليأس يعقب روحا لليائسين وراحا

56 و اليأس باطن أخرى من ان يؤم شحاحا

57 ياليل أكم فيك عادٍ داس الحمى و استباحا

58 الى متى أنت داج تغشى الربا و البطاحا

59 نفسي الى الفجر تاقت متى أرى الفجر لاحا

60 متى جناحك يطوى ياليل طلت جناحا

ديوان محمد العيد ، ص45 —48

الفهـــــــرس

فهرس الموضوعات:

المقدمة ..... (01)

الإطار العام للموضوع..... (02 إلى04)

المدخل: المقاومة في الشعرتاريخياً (05 إلى 12)

شعر المقاومة الملحون ..... (13إلى 20)

شعر المقاومة الفصيح:.....(21إلى24)

دور شعر المقاومة في مسارالثورة..... (25)

الفصل الأول:الشاعر محمد العيد آل خليفة نموذجا
المبحث الأول:حياته وشعره .....(26إلى 29)

المبحث الثاني :مظاهر المقاومة في شعر محمد العيد(30إلى 35)

الفصل الثاني:البنية الفنية في قصائد المقاومة:

المبحث الأول:طابع البيان وسمة الخيال في شعر المقاومة(36إلى 41)

المبحث الثاني:موسيقى الشعر وإيقاعه في شعرالمقاومة
عندالشاعر(42إلى4 45)

الخاتمة:.....(46)

الفهارس:.....(47إلى49)

الملحق ..... (50إلى60)